

رواية

د. محمود صلاح

الكتاب الأعمى

ساحر الكتب

الكتاب الأعمى

الكتاب : الكتاب الأعمى

المؤلف : د. محمود صلاح

تصميم الغلاف : إسلام مجاهد

تدقيق لغوي : حمدى عبد الرازق

إخراج داخلى : أحمد عبد الحليم

رقم الإيداع : ٢١٣٠ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : ٩٧٨-٩٧٧-٧٧٨-١٣٣-٦

نون للنشر والتوزيع

٢٠ عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

Noon_publishing@yahoo.com

الكتاب الأعمى

رواية

د. محمود صلاح

ن للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى من ساعدونى على نشر هذه الرواية والرواية التى سبقتها .

إلى أمى الغالية رحمها اللّه، كنت أتمنى أن تكونى أول شخص يقرأها ولكن للقدر حسابات أخرى .

أهديكى روايتى هذه وأتخيل كم كنتِ ستسعدين بها.

وإلى زوجتى الغالية، التى تحملت الكثير حتى تظهر رواياتى للنور.

وإلى ذلك الغراب الذى كان يقف بجوار النافذة منذ بدأت كتابة هذه الرواية، وغادر للأبد بعد أن انتهيت منها، أفتقدك بشدة سواء كنت حقيقيا أو كنت من محض خيالى.

والإهداء الأخير إلى الليالى السوداء التى عشتها وحفرت بعمق ملامح شخصيتى الحالية، وجعلتنى أستطيع أن أروى بعض من تلك الليالى ليستمتع بها القراء...

(الموجة الأولى)

(عصر الفاحمين)

القاهرة ٤٥٧ هـ

الجـــوع، كان الجوع ينهش فى أوصالى نهشـــا، الحياة لم تعد تحتمل، على ضوء القنديل الصغير المعلق بجانبى كنت أبحث عن أى شىء يؤكل، بعض حبات القمح موجودة يعبث فيها الســـوس، لا مجال للاشمئـــزاز الآن، كنت أتناول حبات القمح بنهم وجوع حقيقى، ولكنهم لم يشبعونى على الإطلاق، ظللت أبحث كالمجنون عن أى شىء يؤكل،

الهذيان ...

الضعف ...

الوهن....

أنظر لجسدى الهذيل الذى ذاب ما فيه من شحوم، ولم تتبقَ إلا تلك العظام البارزة.

إنها أصعب الأيام التى مررت بها، بل ومرت بها مصر من الأساس؛ هناك شح رهيب فى كل شيئ، الحيوانات تؤكل بمنتهى البساطة...

أقصى أحلامك أن تجد فأرا أو قطة صغيرة، فهى وجبة شهية صعبة المنال فى هذه الأيام السوداء.

مترنحا مثل السكارى كنت أستمع لذلك الحفيف القادم من أحد أركان الغرفة، هناك شىء يتحرك بجوار الحائط، شىء ما مهما كان سوف يكون مكانه الطبيعى هو معدتى، إنه برص، أنفاسى تتلاحق، أخيرا هناك ما سوف يشبع بعض من جوعى الرهيب.

وفى حذر وهدوء كنت أقترب، متحاشيا أن يفلت منى، أقترب أكثر محاولا أن أتمالك أعصابى التى تلفت تماما طوال الأيام والليالى السوداء التى قضيتها وما زالت أقضيها.

اللحظة المناسـبة وبقوة أمسكت يدى البرص، حالة الوهن الشـديدة تغزو كل خلية فى جسـدى، أمسك البرص وأنا أنظر لعينيه، لا مجـال للتراجع الآن، الطعام أو الموت جوعا.

تـرددت لوهلة فـى الاسـتمرار فيما أقوم بـه، ولكن فى النهايـة كنـت أمضغ رأس الـبرص، وأنا أقاوم وبشـدة أن أفـرغ ما فى معدتى الخاوية أساسـا، ذلـك الطعم اللعين يملأ فمـى، ولكن الجوع هـو الحاكم الآن، وهو المسـيطر، ويجب علـى الجميـع الموافقة علـى ما يمليه مـن أوامر.

وفى لحظة خاطفة وضعته كاملا فى فمى ومضغته بقوة متناسـيا ما أفعله، ذلك الإبريق بجوارى بـه بعض الماء، أو لأكـن صادق هم آخر ما لدى من ماء،

تناولت الماء بنهم شديد، وأنا مازلت أقاوم رغبتى فى التقيؤ، غفوة أم إغماءة؟! لم أدرِبنفسى إلا وأنا ممدد على الأرض!

منذ متى أنا ملقى هنا لاأعلم، ولا أريد أن أعلم؟!

لو لم أتمكن من الحصول على وجبة حقيقية فسوف ألقى

حتفى، لقد اكتفيت من اكل الحشـــرات والقوارض، سوف أخرج باحثا عن أى شـــىء، أى شىء لأسد به جوعى.

لماذا يحدث لنا هذا؟!

لماذا يعذبنا الله هكذا؟!

ألهذا خلقنا فى هـــذه الدنيا .. لكى يقوم بتعذيبنا؟! لماذا ابتلانا الله بالمستنصر بالله لكى يحكمنا هو و أمه المتعجرفة؟! ذلك الحاكم الحقير الذى جعلنا أشبه بالحيوانات الضالة...

كنت أتحدث مع نفسى، والكارثة هى أننى أتحدث بصوت عالٍ، لقد شارفت على الجنون.

خرجت من باب منزلى وأنا أتلفت يمينا ويســـاراً فى خوف ورعب أن أصبح وجبة لعائلة ما، فالخطاطيف تهوى عليك فى لحظة، وفى اللحظة التالية أنت على مائدة طعام لعائلة ما.

كنت أســـير فى ذلك الزقاق خافت الإضاءة، وأنا أشاهد المنازل الخاوية، لقد اختفى أغلب السكان، منهم من فر هاربًا ناحية العراق، ومنهم من تم التهامه...

عائلات بأكملها تم التهامها بين ليلة وضحاها،

بيعت أجسادهم مقابل مئات الدينارات...

اختفت الموارد، وندر الطعام، ولأول مرة فى تاريخ مصر التهم الشعب المصرى اللحم البشرى، وتقلص عدد السكان بشكل رهيب، حتى جثث الأموات لم تسلم من الجوعى.

كنت أتحسس طريقى بجوار المنازل فى رعب، أقصى آمالى أن أحصل على قطة أو فأر أو أى شىء أَسُد به جوعى، هناك أصوات قادمة من أحد المنازل،

ها هو ذا ذلك المنزل المتهالك....

أضواء خافتة واصوات حركة ما...

بخوف شديد كنت أقترب من تلك النافذة الخشبية المتهالكة، وأنا أمد رأسى لأرى ما بالداخل، وكتمت صرختى بقوة وأنا أشاهد المنظر أمامى، إنه منزل (عبد الملك) صديقى، أنا أعرف ذلك تماما، وتأكدت أنه منزله بسهولة؛ فذلك الجسد الممدد على الطاولة، أو لأكن أكثر إيضاحًا

بقايا الجسد الممددة أمامى هى بقاياه، رأسه وأجزاء من صدره وقدميه مازالت باقية، والكارثـــة أن من يلتهم أمعاءه هو ابنه وزوجته، أشـــحت بوجهى بعيدًا وأنا غير مصدق لما تراه عينى، هذا هو ابن صديقى وزوجته يلتهمون جثة صديقى، وســـط ضحـــكات جنونية ونهم غير طبيعى.

كنت أتحاشى أن أصدر أى صوت....

حركتى محســـوبة تماما... من بعيـــد وكل فترة يدوى صـــوت صرخة قادمة من اللامكان، ربما هى صرخة شـــخص يقتل أو يؤكل أو يســـلب.

لقد فقدنـــا كل ما كان يبعدنا عـــن الحيوانات، وحتى الحيوانات لم تكن لتصل لتلك الدرجة من الهستريا والجنون، نعم إنه جنون تام.

الـــبرد والجوع يلتهمـــان المتبقى من طاقتـــى، ابنى عمر وزوجتى فى انتظارى أيضا، يجب أن أحضر لهم أى شـــىء، أى شىء يؤكل.

أسير وسـط الهواء البارد وأنا أسـترق السمع ربما هناك حيوان ما بجوارى، أو أى شـىء يؤكل.

إنه الجوع، الجوع يا عزيزى...

منذ متى أنا أسـير فى المنطقة، لا أتذكر ولكن اعتقد أن النهار قد أوشك على البزوغ.

أين صلاة الفجر؟!

للأسف المساجد مغلقة، وأمام المسجد حذر الناس من الوجود فى الشوارع والأزقة، على الجميع أن يلزم منزله، على الجميع أن يتدبر أمره بنفسـه، فمصر تتعرض لشـدة، وكم كنـت أتمنى أن تزول، مازلت أبحـث عن أى طعام، ولو فتات خبز عفنة، ولكن لا مجال؛ ففتات الخبز العفن فى هذه الأيام كنز ثمين.

كيف سـوف اتصرف الآن، ماذا سـوف أفعل، فلو تحملت الجوع مـاذا عن ابنى وزوجتى؟!

وهن شديد يسيطر على جسدى فى رحلة العودة.

أمــر عائداً بجوار منــزل (عبد الملــك) صديقي، منظر ابنه وزوجته وهــم يلتهمونه لم ولن يفــارق مخيلتى، أحاول مقاومــة تلك الوسوســة بداخلــى، تلك الوسوســة التى تنادينى أن أدخــل منزل (عبد الملك) وآخذ قطعًا من لحمه، الفكرة فــى حد ذاتها تقتلنــى، هل أســتطيع فعل ذلك؟!

هل لدى الشجاعة لأن التهم لحم رجل أعرفه جيدا؟!

الصوت داخلى يزداد حدة، إذا كان ابنه يلتهمه هو وزوجته فما بالك انت؟!

هل ستموت جوعا؟!

وتترك ابنك وزوجتك؟!

مستحيل أن اتركهم،

ولكن أيضا كيف سأقنعهم بأكل لحم بشرى؟!

كيف كيف؟!

لا تشغل بالك سوف تقتطع أجزاء من لحمه بدون الجلد، وتخــبر زوجتك أنك وجدت عجلا صغيرا نافقا وأخذت منه تلك القطعة.

الصوت يقنعنى بشــتى الطرق، الجوع هو المســيطر، البرد يدمر تفكيرى تدميرا.

حسنا...

أنظر من النافذة، أمط رأسى فى هدوء، لأنظر داخل الغرفة الصغيرة، لا وجود لشيء إلا ما تبقى من جسد (عبد الملك).

ليسامحنى الله على ما سوف افعله!

كنت أفتح النافذة الخشبية فى هدوء وأنا اتلفت حولى؛

إن صدر صوت منى فهى نهايتى المحتومة!.....ز..

انفتحت معى أخيرًا، فقفزت داخل الغرفة فى هدوء وحذر شــديدين، فبالتأكيد ابنه وزوجته مايزالان بالجوار، هناك صوت ضحكة يتعالى من إحدى الغرف.

أخرجت تلك السكين الصغيرة التى أحتفظ بها، وأنا انظر إلى تلك العينين الجاحظتين، لقد عانى الرجل كثيرا؛ نظرات الصدمة الماثلة امامى تؤكد ذلك، لا مجال للتراجع، سامحنى يا صديقى!

مقاومًا لأى أحاسيس بشرية مازالت متبقية بداخلى كنت أقوم بتقطيع المتبقى من فخذ الرجل، السكين تذوب فى اللحم، أبتعد عن الجلد المملوء بالشعر حتى لا ينكشف امرى أمام زوجتى.

هذه القطعة تكفى، أحاول قطع آخر جزء، تبًّا إنه متعلق بالعظم.

محاولة أخرى وأنا أتحاشى أن أصدر أى صوت، وحدثت الكارثة!!!

لقد خلعت قطعة اللحم من مكانها ولكن جسد الرجل سقط على الأرض، مصدرا دويا هائلا، فى لحظة اتجهت ناحية النافذة وأنا أسمع صراخ السيدة من الداخل أن هناك غريبا فى المنزل،..

الابن يطلق سبات متتالية وهو يهرع ناحية والده، ليتأكد أن كان هناك من تسلل إلى داخل الغرفة، فتح النافذة وهو ينظر يمينا ويسارا وأغلقها جيدا.

إن الطامة الكبرى هى أننى لم أستطع القفز من النافذة بسبب حالة الوهن الشديدة، وها أنا الآن بجوار الأريكة مختبيء .

ترى ما هو الحل الآن؟!

الرجل عاد ليكمل ما يفعله هو وزوجته، وبقيت أنا هنا بانتظار استغراقهم فى النوم.

الجسد المسجى أمامى يتحرك، أكاد أقسم أن الرجل تحرك ونظر لى، الجوع يلتهمنى التهاما، سوف أتذوق لحمه وليكن ما يكون، ولن أقترب ناحية الجزء الموجود معى؛فهو نصيب زوجتى وابنى.

فى حذر كنت أسترق النظر والسمع ناحية غرفتهم، لا يوجد شىء سوى ضحكات الزوجة الماجنة، حسنا قطعة لحم

أخرى من القدم اليسرى لن تضير شـــيئا، فماذا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها؟!

ممســـكا بالسكين كنت أمزق تلك الطبقة الجلدية أعلى الفخذ.

دماء قليلة تســـيل على الســـكين، وبحركة لا إرادية قمت بتذوق تلك القطرات قبل أن تســـقط أرضا.

سحقا لى!!

ما الذى أفعله؟!

الصوت بداخلـــى يتعاظم:هيا أنجـــز مهمتك فعائلتك بانتظارك،

هكذا وبلا تردد كنت أقوم بتشـــفية اللحم من عظام فخذ الرجل.

هل ينظر لى؟!

إن خيـــالى المرهق كإرهاق جســـدى يلعب دورًا حاسمًا فى تلك اللحظات، القطعة فى يدى، أخيرًا، كنت أنظر لها وأنا

استمع لصوت معدتى التى تئن من الجوع، الجوع!!

وفى لحظة كنت ألوك أول قطعة من لحم الرجل.

سامحنى يا صديقى، ما باليد حيلة.

أعتقد أن طعمها أفضل من طعم لحوم الأبراص والسحالى التى ألتهمها، بل أن الحقيقة أن طعم اللحم مميز للغاية، لا أعلم متى قرأت معلومة أن لحم البشر هو الأفضل بين كل كائنات الأرض؛ لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يأكل اللحوم والخضروات، ولكننى أعتقد الآن أنها معلومة حقيقية...

يدى يسيل عليها الدماء وأنا التقطها بلسانى فى سرعة، كم كنت أتمنى أن أقوم بطهى ذلك الجزء ربما كان أفضل طعما...

سوف تفرح (علياء)، ستفرح باللحم الذى سوف أحضره ...

أنا أعلم ذلك، وقطعة تلو الأخرى، بدأ شعور الشبع والطاقة يسريان فى جسدى؛ لقد أكلت ما يكفينى، كنت

أنظر لفخذ الرجل لأجد أننى قد قمت بالتهام أغلبها تقريبا، ولم يتبقَ ســوى تلك العروق المرتبطة بالعظام، تناولت قطعة اللحم التى سوف آخذها معى إلى المنزل، ووضعتها فى لفافة قماشــية، وأنا أتلصص على الغرفة المجاورة، لا توجد حركة وهو المطلوب....

ذهبت للنافذة الخشبية محاولا فتحها، دقات قلبى ترتفع، والكارثـــة أن النافذة صدئة وتصدر صريرًا كلما حاولت فتح أى جزء منها، ما العمل الآن؟!

حاولت مرة أخـــرى أن أقوم بفتح النافـــذة ولكنها تصدر صريرًا مخيفًا، ولو حدث واســـتيقظ الرجل وزوجته فســـوف تكون مواجهة قاتلة.

حسنا ســـوف أترك النافذة بل والغرفة برمتها وربما أجد مكانا آخر للخروج من هنا..

كنت أســـير على أطراف أصابعى محاولًا كتم أنفاسى قدر استطاعتى.

هنالـــك غرفة أخرى ربما أســـتطيع أن أخرج منها، الباب موارب جزئيًا، بهدوء أحاول أن افتحه بما يكفى ليدخل جسدى النحيل منه...لم يصدر الباب أى صوت...

أصوات أنفاس شخص نائم قادمة من الغرفة الأخرى، وهو أمر مطمئن...

حسنا...

سوف أدخل...

الأضواء تتســـلل لتضيء جزءًا من الغرفة هناك ســـرير، وهناك...

وفى لحظة جاء الصوت من داخل الغرفة:

- (مروان)، يابنى ...أنت هنا.

كتمت أنفاسى فى قوة.

تبًّا!!

إنها زوجة (عبد الملك) الضريرة، أنا أعرفها جيدا،

كيف سأتصرف الآن؟؟

- يا (مروان)، يا زهرة، انتوا هنا، يا أولاد

السيدة تعلو بصوتها،

لا مجال للتراجع الآن،

السـيدة تغادر الفراش وتمد يدها أمامهـا متجهة ناحيه الباب وناحيتى.

اللعنة...

مين اللى هنا،

- يا (مروان) يا (زهرة)..حد يرد علىَّ يا اولاد،

وفـى لحظة كنت قد توجهت للنافـذة وفتحتها، أصوات قادمة من الغرفة الأخرى

- فيه غريب فى البيت يا ولاد!

- يا مروان يا مروان.

وفى لحظة قفزت للخارج..

- فيه غريب فى البيت يا ولاد، حرامى حرامى!!

أصوات سبات يطلقها مروان، وأنا أسابق الريح فى طريقي للمنزل، قلبى يكاد يتوقف من التعب ...

هل عرف مروان أننى أنا؟!

هل عرف أننى قد التهمت من جثة والده؟!

سوف أعرف ذلك قريبا، كنت ممسكا بوليمتى من اللحم وأنا اتخيـــل فرحة زوجتى بما جلبته، أخيرا وصلت إلى المنزل، فتحت الباب الخشبى وأنا انادى على زوجتى وابنى:

- علياء؟! أين انتِي علياء؟!

ولكن لا مجيب، الشك والخوف وآلاف الأفكار تلهو داخل عقلى،

-(علياء) ..(عمر) ...أين أنتم؟!

ابنى (عمر) ذو الأربعة أعوام دائما ما يلاقينى عند المنزل، عليـــاء، عمر هناك صوت قادم من غرفـــة النوم، ركضت إلى هناك، وتيبست كل قطرة دم فى عروقى، زوجتي (علياء) تنظر لى بذهول والدماء تغطى رقبتها تماما، أمامها جســـد (عمر)

ابنى، وقد التهمت يده وجزءًا من رقبته، سقطت قطعة اللحم التى أحضرتها لهم من يدى، وأنا أنظر للمنظر المهول أمامى.

- ما الذى فعلتيه فى ابننا؟!

كنت اصرخ بها، وقد أمسكتها من رقبتها:

- ما الذى فعلتيه يا حقيرة؟!

كانـــت تبكى وتضحك فى مزيج مجنون ، وأنا أهوى على وجهها بيدى صارخًا:

- لقد التهمتِ ابنك، التهمتيه.

كنـــت أنهال على وجهها بيدى فى جنون، أجابت وســـط دموعها:

- لقـــد التهمته لأنه كان قد مات من شـــدة الجوع، وإن التهمه لهو خير لـ من أن يلتهمه غيرى، ألم ترَ القطط تلتهم أولادها خوفا عليهـــم، لقد التهمت ابنى وأرحته من عذاب أن يلتهمه غيرى.

وضحكت فى هستريا وهى تقرع على بطنها:

- إنه بداخلى الآن مثلما كان من قبل.

مجنونة، مريضة، ولم أدرى بنفسى إلا وأنا أضع السكين فى رقبتها وأغرزها بمنتهى العنف، أمسكت برقبتى وهى تقاوم من أجل الحصول على نفس أخير، وأرحتها وأنا أنتزع السكين من رقبتها وأنهى حياتها، لترتطم بالأرض فى عنف وتسقط بجوار ابنـــى، ولمدة لا أعلم مقدارها كنت أقف محدقا فى جثتيهما، (عمر) ابنى ممدد وقد التهمت أجزاء من جسده، وبجواره جثة زوجتى التى ســـالت منها الدماء لترسم تلك اللوحة المرعبة بينها وبين ابنى.

خرجت من الغرفـــة ويدى قد تجلطت عليها دماء زوجتى، وجلست على الأرض فى ذهول:

- أين الله من كل ما يحدث؟! أأنت موجود من الأساس؟!

وإذا كنـــت موجودصا فلهذا خلقتنا، خلقتنا لنتعذب فى الدنيا بهذا الشـــكل، هل ترضى بما يحدث لمن خلقتهم؟! لماذا تتركنا لما نحن فيه، لماذا لماذا؟!

كنت أصرخ بجنـــون غير مدرك لما أقوله، وبجوارى وجدت ذلك المصحف وأمسكته فى قوة، وأنا أشير به إلى سقف الغرفة:

- هذا هو كلامك وقانونك الذى نســير عليه، إنه قانون ظالم، ظالم.

وفى قوة قذفت المصحف وسحقته بقدمى:

إن الإله الذى يرضى بتعذيب مخلوقاته هو إله ظالم، ظالم ظالم...

وانهـــرت من البكاء والحزن والغضـــب، وقد فقدت كل ما تبقى لى من عائلتى، وحينما اســـتيقظت كان الظلام يسود كل ما حولى، ظـــلام بكر بلا أى لمحة ضوء.

- ما الذى حدث، أين ذهب الضوء؟!

كنت أتحسس طريقى فى الظلام وأنا أرتطم بكل ما حولى، حتى ذهبت إلى باب المنزل وفتحته، وكان الظلام يسود كل شىء، لا وجود لأى ضوء ولا حتى من السماء، أغلقت الباب فى قوة، وقد أدركت الحقيقة، لقد أصبت بالعمى، وفى غضب صرخت:

- هل هذا هو ما تقدر عليه؟! أن تاخذ نظرى منى، هل هذا كل شىء؟! هل هذا هو انتقامك منى؟! حسنا!!

ومرت الأيام، وأنا أتخبط داخل منزلى ضريرًا حانقًا على نفسى وحياتى ومن خلقنى، لقد التهمت ما تبقى من جثة زوجتى التى تعفن أغلبها، ولكنى لم أقدر أن ألتهم أى جزء من جسد ابنى الذى تعفن بدوره، كنت أضحك لحالى بين فينة وأخرى.

مر يومان وأنا بلا ماء أو طعام، كنت أصرخ فى عنف:

- أين رحمتك؟! أين عدلك، أنا أموت من الجوع والعطش وأنت تتركنى هكذا؟! أنا الذى كنت أعبدك وأخلص فى صلاتى كل يوم، تكون هذه نهايتى؟! أين معجزاتك؟! أرنى إياها، أرنى إياها.

ومن التعب والجوع والعطش انهارت قواى تماما، هناك صوت طرقات على باب المنزل، طرقات قادمة من غياهب عقلى، لم ولن أستطع أن افتح الباب، وبوهن شديد، ناديت:

- افتح الباب وادخل يا من بالخارج.

ومـــع فتح باب المنزل شـــعرت بتلك اللفحـــة من الهواء الســـاخن، لفحة هواء جعلتنى انتفض مـــن مكانى والتصق بالجـــدار فى قوة، هل هو مروان ابـــن عبد الملك جاء لينتقم لوالده؟!

وفى رعب وبصوت متقطع ناديت:

- من هناك؟!

شعرت بتلك الأقدام تتحرك فى هدوء إلى أن وقفت أمامى، كنت أرتعد خوفا، وأنا أبحث بيدى عن الســـكين، ربما أجدها هنا أو هنـــاك، وفى لحظة وجدت أحدهم يناولنى الســـكين، أمســـكتها فى قوة وأنا أذهب بها يمينا ويسارا.

- مـــن أنت وماذا تريد .. ليس لـــدى طعام ولا ماء ولا أى شـــىء، وأنا مريض وضرير ابتعد عنى.

- أنا رسول لك يا أنس، ألم تكن تصرخ وتنادى بأنك تريد ممن خلقك أن يتولاك فى هذه الأوقات الصعبة،

- من أنت؟!

قلتهـــا فى فـــزع، فانطلقت تلك الضحكـــة القادمة من اللامكان فى قـــوة، وهو يجيب:

- ليســـت المشـــكلة هى من أنا أو ما أنا، أنا خلق من خلق الله مثلك تماما، ويمكنك تســـميتى كما تريد، ولكننى هنا لأساعدك.

- تساعدنى؟!

قلتها فى ذهول..

- نعم سوف أساعدك يا عزيزى.

قالها وهو يقرب شيئا ما من يدي.

- لتأكل هذه فى البداية، فأنـــا أعلم أنك تتضور جوعا منذأيام.

بالفعل أمسكت بتلك التفاحة فى جنون، وأنا ألتهمها فى فرحة.

- هيا يا (أنس) انتهِ منها فلدى المزيد والمزيد لك.

وأعطانى تلك القنينة المملوءة بالماء، وتجرعتها مرة واحدة، وانطلقت ضحكاته عاليا.

سألته بشكل مفاجيء: من أين عرفت اسمى؟!

اجابنى فى هدوء:

- أنا أعرف عنك كل شىء، ورأيتك تفعل كل شىء، وقد أعجبنى ما فعلته.

رددت كلامه مرة أخرى فى ذهول:

- أعجبك؟!

قال وأنا أسمع خطواته فى الغرفة:

- نعم أعجبنى للغاية، أعجبنى أنك ابصرت الحقيقة.

قلت له متسائلا: أى حقيقة؟!

قال فى هدوء اكثر من ذى قبل:

- حقيقة أن من خلقك قد تخلى عنك.

قلت له وأنا أشيح بوجهى:

- أرجوك كانت ساعة غضب مما مررت به وسوف يسامحنى الله عليها.

انطلقت ضحكته فى قوة:

- يسامحك الله؟!الم ترى ما فعله بآدم حينما أكل تفاحة مثـــل التى أكلتها أنت منذ قليل، لقـــد هبط للأرض عقابا على ما فعله، فترى ماذا ســـوف يفعل بك أنت؟! بعدما قتلت زوجتك والتهمت لحمها ولحم صديقك؟!

أشحت بوجهى وأنا اشعر بفداحة ما قمت به:

- لسوف يسامحنى الله ويغفر لى، فهو غفور رحيم.

شعرت بأنفاسه الملتهبة تلفح وجهى وهو يقول:

هل هو حقا غفـــور؟! وهل أنت متأكد أنه رحيم، لو كان رحيمـــا لما سمح بحدوث كل تلك المجـــازر التى حدثت وما زالت تحدث.

ابتعدت عنه بجسدى وأنا أتوجه للناحية الأخرى من الغرفة التى حفظت أبعادها، لأجده يهمس لـ من الناحية الأخرى:

- ما الذى تريده حقا يا (أنس)؟!هل تريد أن تنتظر الرحمة فى الآخرة وربما تنالها وربما لا، أم تنال كل شىء الآن فى حياتك؟! الحياة الرغدة، والعيش الكريم والمال، بل سوف أجعلك الرئيس على زمرتى.

- زمرتك؟!

كالعادة كررت سؤالي:

- من أنت؟! حقا من أنت؟! وماذا تريد منى؟!

يجيبنى بصوته القادم من أعمق أعماق الجحيم:

- أنت من قدمت لـ راكضا بعدما قلته وفعلته.

قلت له باستغراب:

- أنا؟!.

- نعم أنت يا (أنس) هل تناسيت ما فعلته بالمصحف، وما قلته لمن خلقك، وقد تلقيت جزاءك وفقدت بصرك، ولكن معى سوف ترى كل شىء، فأنا أعشق المتمردين على أوضاعهم.

- سوف تعيد لى بصرى؟!

قلتها بدهشة وتساؤل.

نعم يا (أنس) سوف أعيده لك بشرط، شرط واحد.

قلت له فى توجس:

- أى شرط ذلك؟

همس فى أذنى بذلك الفحيح:

- أن تهبنى نفسك وتنفذ ما أطلبه منك.

قلت له بخوف:

- أهبك نفسى وانفذ أى طلبات؟!

هنا وجدت تلك اليد القوية الملتهبة تمسك يدى، وأنا أقف على قدمى، وأنا أصرخ بقوة مكررا نفس السؤال:

- من أنت وماذا تريد منى؟!

وكانت الإجابة التى لم أتخيلها لوهلة:

- أنا من خلق الله مثلك، هناك من يخاف منى وقد دأبتم على ذلك بدون أن تعرفوا منهجى أو حتى أنال الفرصة لكى تعرفوا عنى وعن أفكارى لكم.

فى هلع تناثرت الكلمات من فمى:

- أنت الشيطان.

وانطلقت تلك الضحكة المسممة الملتهبة فى الغرفة ضحكة اهتزت معها جدران المنزل:

- أحسنت يا (أنس) ما زلت ذكى كما عهدتك، والآن الاختيار لك، هل تود أن تكون وجبة على مائدة أحدهم؟! وتلقى شتى أصناف العذاب وهم يقومون بتقطيعك والتهامك؟!أم تريد الانضمام لى، وتعيش فى رغد بحياة منعمة.

واقترب منى فى قوة:

- قرارك الآن.

لوهلة كنت أتخيل نفسى وأنا ضرير ومجموعة من الأشخاص يقومون بتقييدى وتقطيع جسدى، الفكرة بشعة ولن أتحملها، وبلا تردد أجبته:

- حسنا أنا معك، ما الذى سوف تقدمه لى؟!

ضحك بسخرية وانتصار هذه المرة:

- لا شىء يا عزيزى، هل تتذكر المصحف الذى دست عليه وقطعته؟!

بحسرة أجبته:

- نعم اتذكره.

قال لى:

- حسنا هاتِ يدك.

أعطيته يدى، وسرنا لخطوات:

- حسنا هو تحت قدمك الآن، هيا يا (أنس) افعلها.

اتجهت ناحية الصوت فى ذهول:

- افعل ماذا؟؟

- تبول يا (أنس)، قدم لى برهانا على ولائك لى.

فى رعب أجبته، وأنا أبتلع لعابى فى صوت مسموع:

- تريدنى أن اتبول على المصحف؟!ولكن....

قاطعنى بعنف:

- لا وجود لـ (لكن)، هل سوف تفعل ذلك أم أنك لست معى؟! افعل ذلك الآن، لتكون منى ومنا جميعا، هيا...

كنت أرتعد فى خوف .. ولكنى تخيلت النعيم الذى سوف أعيش فيه، وتذكرت أننى سوف أعاقب على كل ما فعلته فى السابق، فما الضير من أن أزيد ذنوبى، وإذا كان الله لم ينتقم منى الآن فليكن ما يكون.

وفى لحظة كانت قطرات البول تنهال على المصحف، وبعدها شعرت بتلك النيران القادمة من احتراقه، فقد احترقت الأوراق فى قوة شعرت بها من لفحة النيران، وانطلقت

الضحكات من كل مكان، ضحـــكات فرحة، وانتصار:

- أحسنت يا (أنس) والآن هيا معى.

- معك إلى أين؟!

قلتها مستفسرا، وفى هدوء كانت إجابته:

- أنـــت ملكى الآن وأنا أعرف كيف أحافظ على أملاكى، فلا تخف أبدا.

وكالمغيب كنت أســير معه، فى لحظات شعرت أننا نهبط فى باطـــن الأرض، وكان هناك قوى خفية تتحكم بى إلى أن وصلت إلى مكان رطب وعطن:

- مرحبا بك يا (أنس) أنت الآن فى البهو.

قلت له متذاكيًا:

- وكيف لى أن أرى ذلك وأنا ضرير؟!

ضحك بسخرية:

- لا تستعجل الأمور يا رجل، كل شىء فى وقته، أن خطيئة

بنو آدم ومن قبلهم البشر هى الاستعجال، سوف تاكل وتشرب، وبعدها نتحدث.

وفى قوة صفق بيديه، أن كان له يد،

وسمعت تلك الأصوات الأنثوية بجوارى:

- أمرك يا مولاى.

- خذوا (أنس) ليستحم وياكل ويشرب ونفذوا له كل ما يريد، اذهب يا (أنس).

وفى لحظات كنت أنعم باستحمامى الأول، وبعدها كنت آكل ألـذ وأطيب وجبة فى حياتى، شـعرت بتلك اللمسـة الأنثوية والصوت الحنون بجوارى:

- هل تريدنى يا (أنس)، هل تريدنى أن أدلك لك ظهرك؟

أجبتها وأنا أضحك فى شبق:

- بل أريد الأكثر من ذلك، أريدك أنتِ...

وانطلقت ضحكتها الماجنة عاليا، ووسط القبلات المجنونة، كنت أشعر أننى أول مرة أمارس الجنس فى حياتى، لذة غريبة تغمرنى مع هذه المرأة، لذة لم أشعر بها على الرغم من زواجى منذ فترة طويلة، صرخاتها الماجنة كانت تزيدنى نشوة ورغبة أكثر وأكثر، ولم أشعر بنفسى إلا وأنا ممدد على فراش وثير وبين قدمى أشـــعر بحركات ماجنة من إحدهن، الضحكات، خمور، جنس، وطعام، وجنس، وخمور، تتحدث لـ من عرفت أن اسمها (زاهدة):

- هل اكتفيت منى اليوم يا أنس؟

ابتسمت وأنا اقبل شفتيها العذبتين:

- وهل ممكن أن اكتفى منك يا ملاكى؟!

انطلقت ضحكتها عالية:

- أوليس الأفضل أن أكون شيطانتك؟!

قالتها وهى تمرر أظافرها على صدرى وتخدشـــه فى قوة، أجابتها وأنا ألثم رقبتها:

- شـــيطانة كنتِ أم ملاكا، فأنا لم ألـــق فى حياتى حبا سواك!

والتهمتهـــا التهاما وهى تصـــرخ بصرخاتها الماجنة، قالت (زاهدة) بعد أن انتهينا:

- ألست سعيد بالمكافئة يا (أنس)؟!

توجهت بنظرى ناحيتهـــا وكأننى أبصرها، أجمل وأعظم مفاجأة

- وأجمل امرأة شعرت بها هو أنتِ!

شعرت بأنفاسها الملتهبة بجوار أذنى ولسانها يلعق أذنى:

- وستفعل أى شىء أطلبه منك.

وبدون تفكير أجبتها:

- وأبيع عمرى وحياتى لكِ.

قامت بهدوء من جلستها، وهى تقول:

- ســـوف يكون عمرك ومستقبلنا جميعا فى خدمة سيدنا، وإلهنا، أليس كذلك!

- نعم يا (زاهدة) سوف أقدم له كل شىء، كل شىء.

وغلبنى النوم أخيرًا

لم أنم كثيرا، كنت أشعر بطاقة غريبة تسرى فى جسدى، طاقة صافية لم أعتدها من قبل، شعرت بذلك الصوت، يأتى فجأة:

- سيدى يريدك الآن.

قلت لها:

- ولكنى أريد أن أستحم.

قالت فى سرعة:

- هو يريدك الآن كما أنت بنفس حالتك، وبعده يمكنك أن تستحم أو تفعل ما تريده.

أمسكت يدى وكنت أقف أمامه:

- هل أنت سعيد بوجودك معى يا (أنس)؟!

تردد صوته فــى المكان الذى بدا أنه مــكان كبير للغاية، أجبته:

- نعم أنا سعيد ولكنى اعتدت أن أتطهر بعدما...

قاطعنى فى عنف:

- ذلك كله ماضى ولا وجود له فى عالمى، أنت هنا متحرر مــن كل القيود، لك كل الصلاحيات، بشــرط أن تتبع ما أريده منك، انــسَ ما كنت تفعلــه؛ فقوانينى تختلف عن قوانين إلهك، هنا كل شــىء يسير بمشيئتى أنا وقانونى أنا، والآن أريد منك أن تبدأ بالكتابة.

أجبته فى تعجب:

- كتابة؟! ماذا أكتب وكيف أكتب وأنا ضرير؟!

ضحك فى قوة، تردد صداها فى أنحاء المكان:

- ألم أقــل لك لا تتعجل أى شــىء، أنا فقط أريد الإرادة، إرادتك الحرة فــى الكتابة، هذا هو ما يهمنى.

- وكيف سوف أفعل ذلك؟!

أجابنى بصوته الجهنمى:

- هكذا...

شعرت فى هذه اللحظة، أن هناك شيئا ما يسيطر على يدى!!

- يا إلهى...

قلتها فى عنف، وكانت ردة فعله عنيفة للغاية، فقد شعرت بتلك اللطمة والصرخة.

- إياك أن تنطق تلك الكلمة هنا، هنا أنا الإله، وأنا الذى أعبد وأنا كل شىء...

وفى عنف اقترب منى وهو يكررها:

- هل فهمت؟

وفى خوف أجبته:

- نعم سيدى، لقد فهمت...

- والآن دع الأفكار تنساب إلى عقلك وتتحكم بيدك ولتكتب . . .

- حسنا سيدى سوف أكتب...

وبدأت يدى تلمس ذلك الكتاب المصنوع من الجلد وأنا أمسك بتلك الريشة الغريبة، وبدأت الكتابة وأنا أردد تلك الكلمات التى تنساب فى عقلى وتكتبها يدى رغما عنى:

- بسم من ملك الأرضين السبع، بسم من يعلم ونحن لا نعلم، بسم من له الحق فى كل شىء، بسم من تدنس له البشر وكافة الخلق، إنه فى العام الأول من عصر الفاحمين، أنا (أنس) المعصوم، عبد إبليس المخلص له، أكتب لكم الكتاب الذى سوف يكون منهجنا، الكتاب الذى سوف يجعلنا نسيطر على كل ما فى الأرض وبواطنها وأسرارها التى يعلمها هو وحده.

وظللت أكتب لوقت طويل، لم أسمع فيها صوت سيدي، وما بين طرق استقراء وتشنيع الموتى، إلى تكاليف للعبادات الشيطانية، كانت يدى تكتب وأنا أردد ما أكتبه . . .

طرق تعذيب البشـــر وطرق سلب الإرادة الحرة، أقوم برسم دوائر ورمـــوز غريبة والصفحـــات تتقلب من تلقاء نفســـها كلما انتهيت من الكتابة، كيفية السيطرة على الحن والبن ومعلومات غريبه عن عالمهم وهروبهم من شـــيء أسمه البعد الملموس وكشف لأسرار تواجدهم بل وكيفيه كشف الستار الذي يحيطون به أنفســـهم، كانت المـــرة الأولى التى أتاكد فيها مـــن معلومات الحن والبن وإنهم موجـــودون فعليا، لقد اعتقدتها أســـطورة، كيفية التنقل بين الأرضين الســـبع فى حرية، متى وكيف تتلاقى النجوم والكواكب؟! وأى المواعيد هى الأنســـب لفتح الثغرات والفجوات بين العوالم.

معلومات غزيرة عن الســـيطرة الشيطانية وكيفية القيام بها، كيفية إراقة دماء الأطفال فى طقوس التعزير، وكيفية تلبيـــة طلبات ملكنـــا ومن ندين له بالحيـــاة، وغيرها الكثير والكثير، ....

مئات الصفحات كتبتها عن أشـــياء يشـــيب لها الولدان، ويوما بعد يوم كنت أكتـــب وأمارس الرذيلة التى لم تصبح

رذيلة بعدما اعتدتها، وازداد عدد البشر فى ذلك المكان، كنت أشعر بهم أحيانا وهم يتهامسون، من أين أتوا وكيف .. ذلك لا يهمنـــى، ومرت الأيام إلى أن انتهيت من الكتابة.

وضعت دســـتورا وقانونا تتوارثه الأجيال الحالية والأجيال القادمة.

فى ذلك اليوم انطلق صوته قادما من اللامكان:

- أحسنت يا (أنس)، ما بين يديك الآن هو الدستور الذى سوف نحكم به فى تلك الأرض يوما ما، سوف تسير عليه أنت وأتباعك وقرناؤكم.

فى قوة كانت كلماته تزلزل كل شىء.

- لقد حان الوقت لنسيطر، ولن نفوت تلك الفرصة، واطمئن أنا دائما بجوارك، أنا المكان والزمان، وأنا كل شـــىء فى كل لحظة ستجدنى، ســـتفعل ما أطلبه منك، وسوف يكون لكم كل شىء، فنحن نستحق ونحن الأولى بكل شىء، سوف تبدأ الطقوس غدا، طقوس العبادة يا أنس، وأنت من سوف تقودها.

شعرت بالامتنان من اختيارى ولكنى أم أنبس ببنت شفة:

- فأنت صاحـــب الخطيئة الأكبر فـــى كل عبادى هنا، لذلك فأنت من ســـوف تقودهم.

فى اليـــوم التالى كنت أقف أمام جمع غفير من البشـــر، وخرجت الكلمات منى بغير ســـيطرة:

- أنتم المنتخبون من باقى البشـــر، هـــم يأكلون بعضهم البعض فى الأعلى، أما أنتم ففى نعيم مليكنا ســـوف تحيون، هل من معترض؟

قلتهـــا بعنف فى وجـــه الجميع، ولم يجبنـــى أحد، وبغير سيطرة وجدت نفسى أتناول السكين من الحزام المعلق بكتفى، وأنادى عليهم:

- من منكم يهب نفسه لمليكنا؟

أصوات المئات منهم تنادى أن أختاره، نســـاء ورجال، أشرت ناحية أحدهم، وتقدم أحد الحراس ناحية شاب صغير، والشاب يصرخ فى فرح وبهجة:

- أحضروه لـ.

وفى لحظة كان الفتى راكعا أمامى، وأنا أمسك بالسكين، وكأننى أشاهد كل الموقف بأعين لم تخلق لـ، وقبل أن يلمس النصل رقبة الفتى، انطلق الصوت القادم من أعماق الجحيم:

- توقف.

وفى رهبة صرخت بهم جميعا:

- خشوع...لقد حضر مليكنا...

الجميع ركع على الأرض فى خشوع ورهبة، وتقدم هو أمام الفتى الماثل أمامى...

- ها أنـــا ذا بينكم، هذا الفتى وهب نفســـه لـ، وكان فى طريقه ليكون من اتباعى المخلصين مفديا حياته بخدمته لـ ولكننى رحيم، ولن أفعل ذلك، فأنا أحييته قبل أن يموت..... وفى لحظة وضع يده على رأس الفتى الذى ابتسم وهو ينتفض فى قوة:

- مرحبا بعبادى المخلصين...

وأكمل حديثه:

- إن المـــوت والحياة بيدى ولكننى أهبكـــم الحياة، هنا فى باطن الأرض إلى أن أشـــاء ونخرج فى وقت معلوم، وأهب الموت لكل من يخالفنى، هذا هـــو قانونى فهل أنتم معى؟!

وانطلق صوتى يسبق أصواتهم جميعا:

- معك يا سيدى...

ويوما بعد يوم، كنت قد بدأت أرى، ليس بعينى التى ولدت بها ولكن بأعين أخرى، شيطانية وهبها لى سيدى مكافأة على ما قدمته، وازدادت أعدادنا وكثرت أماكن العبادة، ومن وقت لآخـــر كان مليكنا يأتى للحظات متشـــكلا بهيئات مختلفه، يتابع كل شـــىء، ويختفى، لا وجود للمرض ولا للشيخوخة، إننـــا فى عبادته نحيا، وعليها ســـوف نمـــوت، ونحن بانتظار اللحظة التى أخبرنا بها ســـيدى، اللحظة التى سوف نخرج منهـــا إلى العباد الضالين بالأعلى، نســـتعد ونتهيأ لهم، وأنا لذلك اليوم لمنتظرون...

الموجه الثانية

من أنا؟!

وما سرما يحدث لي؟!

ولماذا يحدث لي أنا دونا عن باقى الخلق؟!

لقد ســألت نفسى هذا الســؤال مرارًا وتكرارًا، ولم أتوصل لإجابة شــافية، لقد كنت مثلك عزيــزى القاريء ومثلك عزيزتى القارئة، شخصا عاديًا وطبيعيا وأتلذذ بقراءة الروايات المرعبة وفي حياتى الخاصة وألهو واستمتع بكل شىء، حتى جاء اليوم الأســود الذى بدأ فيه كل شىء، لقد قرأتم بكل تأكيد رواية الملعون، وإذا لم تفعلوا ذلك فأنا لست مجبرا على سرد كل الأحداث التى نجحت فى كتابتها بصعوبة، أصوات الهمهمات تتصاعــد، بعض الأفكار بدأت تتســرب إلى عقــل القارىء.

- إيه البداية الغريبة دى؟!

الغالية (آمال) تتأفف وقد بدأت تغتاظ من وقاحة الكاتب،..

أما (إســلام عبد الله) فهو يبتســم، تلك الابتسامة التى توحــى بأنه على دراية بما هو قادم، حســنا لا داعى للغضب، ولنعد مرة أخرى للبداية.

مقدمة:

(عبد الله) أحضر لي كتبا وطلاسم غريبة قرأت فيها وانقلب حالي تماما، هناك كائنات غريبة تظهر لي،

اكتشاف مذهل، هناك كائنات كانت قبل سيدنا آدم عليه السلام، قرأت فى الكتب أكثر، ....

ذهبت للمنوفية.......،

بذور شيطانية انتشرت فى القرية...........،

مرض غريب يصيب أهل القرية،..........

كائنات تظهر لي وتعطينى أجوبة مخيفة عما فعلته بقراءاتى الخاطئة حريق هائل لبعض المنازل وأنا المتسبب فيه،....

القبض عليَّ، ثم إيداعى مستشفى الأمراض العقلية،..

عقاقير غريبة،...

قصــص أغرب،..... عقاقير أكثر غرابة من ســابقتها،

....

ثم... إفراج....

((وليد) و(محمد) أصدقائى هم من جاءوا ليأخذونى من

المستشفى،

توفيت أمى.....،

تبرأت عائلتى من ذلك الشخص المخبول...........،

عدت لمنزلى بشبرا......

وكانت البداية.................

حسنا،

لقد قضيت فى مستشفى الأمراض العقلية خمسة سنوات،

قضيتها كفأر تجارب، تم تجربة كل الأدوية التى تم اختراعها

وحتى وقت كتابة هذه الرواية..

استمعت لقصص وتجارب مفزعة أعتقد أننى سوف أحكى تلك الفترة فى عدد مخصص لها،....

لم يعد أحد يقترب منى من العائلة...

لقد أغلقوا صفحة قريبهم المعتوه، وفقدت أمى، لم تتحمل كثيرا معاناة وجودى فى مستشفى الأمراض العقلية وماتت، وأعتقد أن جزءًا ليس بصغير من قلبى مات معها،

أن شعور فقدان الأم مدمر يا عزيزى، لأقوى وأشد الرجال، ها هو (سـعفان) يتجه ناحيتى بكرشه المتهدل وهو يضحك لزميلته الممرضة (سعاد)، ويقترب من المهندس (كامل فخرى)، أحد الزملاء المرضى، وهو الأقرب لى فى المستشفى، من رجال الأعمال السابقين، قتل زوجته بعد أن اكتشف خيانتها ويتم معاملته بمنتهى الاحترام فى المستشـفى، ناهيك أن الجميع يعلمـون أنه بكامل قواه العقلية، يهمس فى أذنه بشـىء ما، وتتهلل أسارير فخرى ويهرول نحوى ضاحكا:

- مـبروك يا(نادر) ألف مبروك .. خـلاص إفراج جالك جواب إفـراج من المصحة.

كنت أنظر له ولـــــ(ســـعفان) غير مصدق، أخيرا سوف أغادر هذا الجحيم، أخيًرا ســـوف أصبـــح حرا فى مكان بدون أسوار.

- ألف مليون مبروك يا(نادر).

قالها (سعفان) وهو يحتضننى فى قوة:

- البيـــه المدير مضـــى لك على جواب الخـــروج واتصلنا بعيلتك وهيســـتلموك.

تلك اللفظة عنيفة للغاية حينما تتحول من إنســـان إلى شىء يتم تسلمه.

- تعالى يا أستاذ(نادر) المدير عاوز يقابلك.

مكتب الأستاذ (عصمت فوزى)، مدير المصحة الذى يكرهنى بدون سبب واضح، كان جالسا على مكتبه وهو ينفس دخان سيجارته فى هدوء كعادته، ومن أسفل عويناته الطبية كان ينظر لى متفحصا، وأشار لى بيديه أن اجلس:

- مبروك يا سيدى، المحكمة قضت انك تخرج من المستشفى بعد التقرير الأخير اللى قدمناه.

نظرت له بتوجس:

- الله يبارك فيك يا افندم كل ده بفضل مجهوداتك.

انطلقت ضحكته الرنانة فى الغرفة، وهو يعيد نفس كلمتى مجهوداتى.

- يا(نادر) أنا كان يهمنى انك تبطل الحكاية الخايبة بتاعة الكتاب، والكائنات الفضائية والتخاريف دى.

كنت فى طريقى للرد عليه بحزم ولكنى آثرت أن أجارى أمورى فى آخر لقاء معه، وبكلمات مضغوطة:

- يا دكتور الحمد لله فعلا بعد العلاج اكتشفت قد إيه أنا كنت إنسان مغيب.

خلع نظارته الطبية ووضعها على المكتب بحركة سريعة واقترب برأسه منى وهو يحدق فىَّ:

- قول والله كده...

قالها بسخرية وكأنه يعلم أننى أكذب عليه، وظل يحدق فى تعبيرات وجهى وانفعالاتى وأنا أكره ذلك بشدة، تمالكت أعصابـــى، وأنا أحاول أن أتمالك أنفاســـى معها، ونظرت فى عينيه:

- صدقنى يا دكتور أنا اكتشـــفت أن كل اللى حصل لـ ده وهم وإنى فعلا كنت مريض ومحتاج العلاج...

تراجع على مقعده وهو يشعل لفافة تبغ جديدة، وهو يقول بصوت خفيض:

- أتمنى ذلك وأتمنى أن لا نراك هنا ثانية، وإن كنت أثق فى عودتك.

وانطلقت ضحكاته مرة أخرى.

ضغط زر الجرس على مكتبه فأتى أحد الممرضين:

- أوامرك يا دكتور ...

- يلا يا (عادل)، خد(نادر) وســـلمه أوراقه، خلاص شـــوية وعائلته هتستلمه.

نظرت له وأنا أكظم غيظى من تلك الكلمات السخيفة:

- مع السلامة يا(نادر).

قالها وتركـــت مكتبه، نظرات مملـــوءة بالحزن والفرحة فـــى أعين أصدقائى بالعنبر، ســـيد المصرى ينظر لى فى حزن حقيقـــى، وهو يغالب دموعه:

- خلاص هتمشى يا(نادر)؟!

أجبته وأنا أيضا أقاوم تلك الدموع التى تحاول التســـلل من عينى:

- هى دى ســـنة الحياة يا عم سيد، بس صدقنى هآجى لكم من فترة للتانية عشان اطمن عليكم، دا وعد منى.

التـــف باقى الزمـــلاء المرضى من حـــولى، (عادل صبرى و(عزيز) وغيرهـــم، أيا كانت حالتهم العقلية فمشـــاعرهم صادقـــة، لقد اعتدت أن أتعامل معهـــم بوضوح وبدون تلون.

إن خوفـــى الحقيقى الآن ممن ســـوف أتعامل معهم خلف أسوار هذا المكان، ومن وسط الجميع كان أكبرنا سنا الحاج

عبد العظيم يربت على كتفى ويحتضننى فى قوة وحزن وهو يهمس فى أذنى:

- ماتنساش يا(نادر)، السر اللى قلتلك عليه.

نظرت له فى تأثر شديد:

- فـــى رقبتى يا حـــاج والله، واوعدك، لازم هـــازور بنتك وزوجتـــك وهاخليهم يـــزوروك هنا.

- ربنا يكرمك يابنى ويحفظك.

قالها وهـــو يضع فى يدى ذلك المصحـــف الصغير الذى اعتاد أن يقرأ فيه:

- ليه بس يا حاج .. دا المصحف اللى أنت متعود تقرا فيه؟!

ربت على كتفى وهو يقول:

- معايـــا واحد غيره يابنـــى، دا هدية منى ليك عشـــان ماتنســـاش وعشـــان ربنا يحفظك ...

وبحركة لا شعورية وجدت نفسى أقبل يديه، كان الرجل فى الحقيقة فى منتهـــى العقل، ولكن اختلافه فى الآراء من جهة ما كانت السبب فى وجوده هنا، كان مثل والدى رحمه الله فى ضحكته وطريقته:

- أشوفكم على خير يا جماعة،

واســـتدرت مغادرًا المكان الذى قضيت فيه خمس سنوات تم التهامهم من عمرى.

تسلمت أشـــيائى التى دخلت بها هنا منذ خمسة سنوات، وارتديت ولأول مرة ملابس تختلف عن ملابس المرضى، هاهى عائلتى، تتمثـــل فى (وليد) و(محمـــد) أصدقائى، إنهما من تبقى لـ بحق، كانـــا دائمى الزيارة للاطمئنان على صحتى، وبالطبـــع كان عبد الله يتناوب على زيارتى فى الأعياد ومعه عماد وسمير:

- البرنس بتاعنا وصل.

قالها (محمد) وهو يضحك ويحتضننى فى قوة، وكذلك فعل (وليد).

- أخيرا يا (نادر)، أخيرا إفراج وكمان القضية اتقفلت.

- الحمد لله.

قلتها وأنا أنظر إلى باب المستشفى وهو يفتح حتى أغادره، لقد قضيت هنا أسود أيام حياتى، قضيت أصعب وأتعس أوقاتى فى ذلك المبنى الأصفر الكئيب، كان (وليد) يربت على كتفى وأنا أسير معهم.

- حمدا لله على سلامتك يا صاحبى، يارب بقى تكون كل الأمور اللى كانت بتحصل لك دى انتهت خلاص الحمد لله . . .

نظر له (محمد) بلوم شديد، وهو يحاول تغيير مجرى الحديث:

- ياعم (وليد) بالله عليك دى أيام سودة ومش عاوزين نفتكرها ونفتح صفحة جديدة بقى.

نظرت لكليهما فى صمت، وأنا أتمتم:

- نعم كانت أيام سوداء.

قال (وليد) وهو يحاول إخفاء إحراجه:

- يلا الغداء عندى أنا عاوزيـــن نغدى (نادر) غدوة جامدة بقى العكاوى والكوارع.

قلت لهم بشكل قاطع:

- أنا عاوز أروح البيت الأول، أروح شبرا.

كان الحنين لمنزل شبرا ولأمى فوق الوصف ويكفى اننى لم أستطع حضور جنازتها.

قال (وليد) بتعجب:

- إيه يا (نادر) شبرا إيه بس ياعم بس نتغدى وبعدها هتروح والله.

- لا .

قلتها بحزم:

- هاروح شبرا الأول من فضلكم.

نظر لـ (محمد) بتعجب:

- طيب يا (نادر) خلاص نروح شبرا الأول، احنا معاك يا صديقى لحد ماتزهق مننا.

ركبنا سيارة (محمد) وأنا أشاهد الشوارع التى امتلأت بالبشر أكثر مما كانت ممتلئة بالأساس،

ودخلنا إلى الحى الذى اعتدت أن أسكن فيه، نظرات الناس على المقهى غريبة، يهمسون أن (نادر) قد خرج، الشعب المصرى والعربى يشعر بالسعادة فى التهامس وإخبار الأصدقاء عن كل شىء غريب، شعب كان يرغب فى العمل كمراسل إعلامى ولم ينجح فى الحقيقة ونجح على المستوى الشعبى.

شعر (محمد) بنظراتى التى أتبادلها مع رواد المقهى فوضع يده على كتفى وهو يوجهنى ناحية المنزل.

بحثت عن المفاتيح بجيبى حتى عثرت عليها.

العنكبوت نسج ملامحه بجدارة على باب المنزل، مما يوضح أن لا أحد من أخوتى قد حضر هنا منذ فترة ..

أخيرًا انفتح الباب مصدرًا ذلك الصرير المخيف، ذلك الزئير الذى حاولت أن أنساه مع كل ما نسيته.

- بسم الله الرحمن الرحيم.

قالها (محمد) وهو يضيء هاتفه، ليفتح أضواء الشقة، وما أن وضع يده على مفتاح الإضاءة حتى انفجرت إحدى اللمبات فى دوى رهيب، انتفض كلٌ منهما فى شدة من انفجار اللمبة، أما أنا فقد ابتسمت فى هدوء.

الحقيقة أن السمة الغالبة لى فى هذه الأيام هى الهدوء، واعتقد ذلك بسبب كثرة المهدئات التى تناولتها فى المصحة.

دخل (وليد) و(محمد) إلى غرفة النوم وفتحت أنا بلكونة الشرفة، وأنا أشاهد كمًّا خرافيا من الأتربة:

- ياعم (نادر) أنت فين؟

قالها (محمد) وهو ينادى علىَّ:

- يعنى احنا جايين عشانك وأنت سايبنا.

دخلت غرفة النوم وأنا أفتح الأدراج بحثا:

- انت بتدور على إيه يا (نادر).

قلت له بدون أن ألتفت:

- بادور على شنطة الكتب،

- الكتب؟!

قالها (وليد) متعجبا:

- يانهار اســـود يا (نادر)، أنت بعد كل اللى حصل ده لسه بتدور على الحاجات دى؟! مش كفايه اللى جرى لك بسبب الموضوع ده، حرام عليك بجد.

أكمل (محمد) معه وصلة التانيب وأنا أتجاهل كل شىء،

ذهبت إلى غرفتى وتركتهم وهم مستمرون فيما يقولونه، الغرفة فى حالـــة يرثى لها، كنت أبحث فى جنون عن تلك الشنطة التى تحمل الكتب، ولكن دون جدوى.

قال (محمد) فى جزع حقيقى:

- لو اســـتمريت فى اللى أنت بتعمله ده يا (نادر) هنمشى ونسيبك، احنا مش ناقصين شغل عفاريت، أنا قلت أنت خفيت من الهلاوس دى.

قمت بترديد كلمته الأخيرة وأنا أغلق آخر أدراج الدولاب فى غرفتى.

- هلاوس؟!

- أيوه يا (نادر) هلاوس، كفاية اللى حصل لك، وكفاية مســـتقبلك اللى اتدمر بعد ما الجريدة رفدتك، وعيلتك قطعت علاقتها بيك...

شارك معه (وليد) فى مأدبة الوعظ:

- أرجوك يا (نادر) عيش حياة طبيعية وكفاية اللى حصل أرجوك.

- حاضر.

قلتها مستسلما كما كنت أقولها مستسلما فى المصحة، قلتها وأنا أخرج لفافة التبغ وأشعلها.

دخلت مرة أخرى إلى غرفة النوم، أمسكت صورة أمى ولم أستطع أن أمنع تلك الدموع التى انسابت منى فى غزارة، لقد اعتدت دائما أن أكتم مشاعرى، ألا أفصح عما يدور بداخلى، ولكننى لم أستطع.

تناول (وليد) منى الصورة، وهو يقول:

- الله يرحمها يا (نادر).

- افتكرلها الرحمة بالله عليك، دى كانت ست طيبة.

- ربنا يرحمها.

- طب باقول لكم إيه بقى يلا ننزل نتمشى ونجيب شوية حاجات للبيت ونقضيها براحتنا.

قالها (محمد) وهو يجرنى من يدى جرا، وما كدت أتحرك، حتى ارتطمت النوافذ فى قوة، وباب الشقة أيضا الذى كنت أظنه مغلقا كان يفتح ويغلق فى قوة:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قالها (محمد) فى رعب:

- إيه اللى بيحصل ده بجد؟

أما (وليد) فـــكان يتمتم بما تذكره مـــن القرآن، وما أن حاولنا أن نخرج مـــن الغرفة حتى انغلـــق الباب فى عنف:

- أعوذ بالله .. أعوذ بالله؟!

- فيه إيه بجد فيه إيه؟

أصوات ضحكات غريبة، وأصوات رياح عاتية وكأننا لوهلة بداخل إعصـــار عاتٍ، ثم انطلقت تلـــك الصرخات من كل صوب، صرخات معذبة متألمة، قادمة من أعمق أعماق الجحيم .

(محمد) يصرخ فى قوة:

- مستحيل اللى بيحصل ده.

- بجد مستحيل .

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله.

- دا مش طبيعى أبدا،

- (نادر).... (نااادر)...

كان هنـــاك صوت غريب ينادى علـــىَّ وأنا أقف مذهولا، وكأن عقلى قد تبخر، وفى لحظة انتهى كل شىء كما بدأ.

- يلا يا رجالة يلا بينا.

قالها (محمد) وهو يفتح باب الغرفة، وباب الشقة وهرولنا على درجات السلم، وحينها كان المنظر الذى لم ولن ينمحى مـــن ذاكرتى طالمـــا حييت، فأمـــام المنـــزل كان المئات من المعاريض[1] واقفين بملابســـهم المهترئة وأجسادهم التى غطى أكثرها الأوساخ، منظر مستحيل أن يحدث وأن يتجمع كل هذا العدد الهائل منهم:

- يا نهار ازرق إيه ده؟!

قالهـــا (وليد) فى بلاهة وهو غير مصدق، أما (محمد) فقد ألجمته الصدمة وله كل الحق.

---

١ - المعاريـض مصطلـح يطلـق عـلى المشرديـن فى الشـوارع، أساسـه صعيـد مـصر.

ومـــا أن تحركنا لمحاولة الخروج من وســـط هذا الجمع الغفير، حتى انقســـم الجمع لما يشبه صفين وهم ينظرون لى فى إجلال حقيقى،

لن أصف لكم شعورى المتخبط فى تلك اللحظات،

وفـــى حركة بطيئة كان يتحـــرك ذلك الرجل من بين هؤلاء المشردين، وهو يمسك تلك اللفافة القماشية ويعطينى إياها وهو ينحنى فى خشوع وإجلال رهيب،

وحينمـــا قمت بفتح تلـــك اللفافة القماشـــية، وجدت بداخلهـــا آخر شـــىء توقعت أن أراه فـــى حياتى،

الشيء الوحيد الذى يشير إلى أن كل ما مررت به لم يكن جنونا أو هذيانا أو أحلام يقظة، فبين يدى الدليل على صحة مـــا مررت به، بـــين يدى ذلك الكتاب الذى بدأ بســـببه كل شـــىء، الكتاب الذى تسبب وسوف يتســـبب فى تغيير المتبقى مـــن حياتى إلى الأبد، كتاب مرعب، كتبه رجل ضرير بإيعاز من الشـــيطان، كتاب يطلق عليه «الكتاب الأعمى»، أدركت

لحظتهـــا أن كل ما مـــر بى هو فقط البدايـــة، بداية لماضٍ مرعب وحاضر مؤلم ومســـتقبل أتوقعه كارثى.

فى إجلال بدأ المشـــردون فى الانصراف وكأنهم قد تلقوا أمرا من جهة غير معلومـــة بأن ينصرفوا فى تلك اللحظة.

أما (محمد) و(وليد) فقد كانا يشـــيحان بنظراتهما عنى، فالآن فقط أدركوا أننى لم أكن يوما ذلك الشـــخص الذى يفقد عقله بســـهولة، الآن فقط أدركوا صحة ما حكيته وما أصررت عليه طوال فتره وجودى بالمصحة، أما الجيران فكانوا يشـــيرون لى وهم يتمتمـــون فى رعب، البعـــض يهمس أننى ملبوس، والبعـــض يلمز أنى مخاوى، ويتحاشـــون النظر فى عينى مباشرة.

لقد أدركت الآن، والآن فقط أن القادم ســـىء، وأن علىَّ أن أكمل المشوار

شئت أم أبيت.

الموجة الثالثة

أول ليلـــة لـ خـــارج المصحة، عامرة بالأحـــداث، عدد من الملاحظات السريعة، لقد أصبح لزاما علىَّ أن أبحث عن عمل بعد أن فقدت عملى فى الجريـــدة، لقد صعبت للغاية فرص وجودى لفترة أطول فى منزلـ بشـــبرا بعدما حدث اليوم، لقد اقتنع (محمـــد) و(وليد) وكل الجـــيران أن هناك خطبا ما عندى، لقد حاولت مرارا وتكرارا أن أنســـى أو أتناســـى تلك التجربة المؤلمة التى تســـببت فى إدخالـ إلـ المصحة، ولكن من الواضح أن لعنتى ما زالت مستمرة، الاستنتاج الأهم فى تلك اللحظات، أننى أمسك بين يدى الكتاب الذى يبحث عنه البشر والجن والشـــياطين والحن والبن، وكائنـــات أخرى ربما ...

لقد تركنى (محمـــد) و(وليد)، ذهـــب كل منهما وهما يتهامســـان وينظران لـ، لقد اتهمنى الجميع بأننى مخبول، وأننى ملبوس وممســـوس، وكل الألفاظ التى توحى أننى قد فقـــدت عقلى، ولكن اليوم كان البرهـــان على أننى لم أكن ذلك الشـــخص المخبول الذى تصوروه،

ماالــذى احضر هذا الجمع الغفير من المعاريض؟! وكيف وصل لهم هذا الكتاب الجهنمى؟!

كنت أفكر فى كل ذلك وأنا أمسك بين يدى الكتاب، لن أخفى عليكم سرًا أننى لم أكن أمتلك الجرأة كى أزيح عنه قطعة القماش البالية المحاط بها، مقاومًا ذلك الشعور الملح بداخلى أن أفتح الكتاب، لقد نجحت أخيرًا، أبعدت عنى الكتاب وأنــا أجلس، على تلك الطاولة العتيقة بجوار الكورنيش، إنه المقهى الذى شهد بداية كل شىء، قهوة أشرف عباس، لم يعد الكُعل عامل المقهي موجودا.

هناك شــاب يترنح يقدم المشروبات للزبائن المتناثرين على الرصيف:

- أوامرك يا عمنا.

إنه النســخة الجديدة من الفنــان الراحل الضيف أحمد، نفــس الملامح ولكن الاختلاف أن الشــاب قد تلقى عددا من الضربات بمطواة فى رقبته، مما أضفى له مزيجا مدهشا من الرهبة والخوف، والكوميديا كذلك:

- أوامرك يا عمونا.

نظرت له مبتسما رغما عنى:

- هاتلى قهوة زيادة فى كوباية من فضلك.

- عيونى يا عمهم.

الرجل فعلا كوميدى جدا.....

- أنت اسمك إيه؟

ابتسم مفصحًا عن أقذر أسنان يمكن أن تراها فى العصر الحديث:

- طيارة،

(محمد) طيارة، ...

قالها وانصرف، من الواضح أن الخمس سنوات قد غيرت الكثير فى عادات الشعب المصرى، الكثير جدا، أحضر طيارة القهوة لـ وقد تناثر نصفها على الصينية الصدئة:

- شكرا يا طيارة.

- أوامرك يا هندسة.

- إلا قولى يا طيارة هو (أشرف عباس) فين؟ أنا أشتاق لهذا الرجل حقا، اشتاق لكلامه ومزاحه وحكمته وحكاياته.

وفى حزن نظر لى طيارة:

- ماتقولش انه مات.

ضحك طيارة فى قوة:

- المصيبة انو عايش يا باشا عايش وقارفنا، وهيكون هنا بالليل.

- أى أوامر تانية؟

- شكرا يا طيارة.

وانصرف مترنحا واعتقد أنه قد نظر لى نظرة أخيرة وسبنى، أليس كذلك؟التاسعه مساء، تلك الفترة التى كنت أخاف ما بعدها بشدة، لطالما كانت الرهبة تتملكنى

فى تلك السويعات القادمة، كل الأحداث المرعبة والحوادث تنتظــــر طوال اليوم لتحدث بعد التاســـعه، قــــرأت قديما أن حضارة المايا كانــــت تقدس ال.......

هل ترى معى ذلك الرجل الذى يقف على الرصيف المقابل لى، ذلك الرجل النحيف جدا فارع الطول، إنه يحدق فىَّ، ولا يريد أن يعبر الشارع، هو فقط ينظر لى أنا:

- يا طياااااااااااااااااااااارة،

صرخت مناديًا عليه.

يجـــب أن أتأكد أن الرجل موجود بالفعل أمامى وأننى لا أهلوس.

حضر لى طيارة مترنحا كعادته:

- أوامرك يا هندسة.

- بص يا طيارة، شايف الراجل اللى واقف الناحية التانية ده.

يلتفت طيارة لينظر للناحيـــة المقابلة للرصيف وتحديدا تحت كوبرى الســـاحل الشهير.

- أنت دماغك إيه يا هندسة؟!

قالها وهو ينظر لـ:

- الدماغ دى دماغ باركينول، التهيؤات والهلوسه انا عارفها، مافيش حد واقف يا هندسة سلامة الشوف.

قالها وهو يبتعد مرة أخرى.

- يا خسارة يا بلد حتى البهوات اتضربوا بالمخدرات، محدش يلومنا بقى.

نظرت له وانا أتمتم :

- ياعم الله يخرب بيت أهلك مخدرات إيه بس، والله هناك شخص يقف ويحدق فىَّ!!

- حسنا.

- اهدأ يا (نادر) .انت تهلوس.

وضعت يدى فى جيبى أبحث عـــن الأدوية التى اعتدت أن أتناولها يوميًا، أخرجت شـــريطى الأقراص وأخرجت جرعتى المعتادة منهم:

- أنا بحاجة للهدوء.

- وربنا المخدرات يا باشـــا تعمـــل اكتر من كده صدقنى بلاش منها.

- إنه الحيوان طيارة

يقولها وهو يضحك.

- ايواااااا جاااااااى،

بعد نصف ساعة كنت قد بدأت أشعر بالهدوء مرة أخرى،

ولكن الغريب أن الرجل مـــا زال يقف محدقا فىَّ، انعكاس أعمدة الإضاءة يعطيه رهبة مفزعة مع طوله الفارع ونحافته، أصوات جلبة قادمة ســـيدة تصرخ وزوجها يهرول خلف طفل ســـوف يعبر الطريق، طريـــق الكورنيش، إنهـــا نهاية حتمية للطفل، الســـيارات قادمة بسرعات مخيفة، السيدة تصرخ:...

- استنى يا (أحمد)، .....

الأب يحاول اللحاق بالطفل الذى دخل بالفعل للطريق:

- سوف أتدخل.

وما أن هممت بالوقوف، ولاحت منى نظرة خاطفة للرجل النحيـــف فى الجهـــة المقابلة، حتى شـــعرت بتلك الصدمة ترتطم بعقلى فى منتهى العنف وهو يوجه يده ناحيتى، كان يشـــير بيده ناحيتى أن أتوقف، حاولت المقاومة ..ولكن هيات، كل ذلك حدث فى بضع ثوانٍ، الطفل يحاول العبور مترددًا وهـــو ينظر لوالده وأمه التى تصرخ فى هلع،...

الأب يحاول اللحاق بابنه وإنقاذه....

وتلك الســـيارة الضخمة كان لهـــا رأى آخر، وفى لحظة ووســـط صرخات الأم مرت السيارة، وأنا أغمض عينى متخيلاً شـــكل الطفل الذى دهسته السيارة لا محالة...

ولكن لا وجود لكل ذلك، ســـيارة نقل هائلة مرت بشـــكل طبيعى لا وجود للطفل، ولا لوالده ولا لوالدته، ولا لأى شىء،

فقط الرجل النحيف يقف وأنا أكاد ألمح شبح ابتسامة على وجهه، لقد كنت أهلوس، أو أن الواقع اختلط بالخيال، ولكن اقسم لكم كان هناك طفل يعبر الشارع، مستحيل أن يكون كل ما حدث هو هلوسة هيأها لي عقلى...

مستحيل....

وضعت رأسى بين كفى وأنا افرك رأسى فى قوة:

- ما الذى يحدث لي، حقا ما الذى يحدث لي، وحينما نظرت لأتابع الرجل النحيف كان قد اختفى، ليس كليا، فمكانه كان يقف ذلك الكلب الأسود الهائل الحجم، ووسط نظرات وزمجرة الكلب المفزعة وهو يتاهب للعبور نحوى، أدركت أن تلك الليلة لن تمر مرور الكرام.

الحقيقة أننى لم أكن أخاف من الكلاب طوال حياتى،..

ولكن هذا الكلب كان رهيبا بحق، وبرد فعل طبيعى..

وقفت وأنا أبحث عن أى شىءأقذف به ذلك الكلب ليبتعد عنى، وبكل أسف كان عمال النظافة قد قاموا بواجبهم اليوم على أكمل وجه،..

ولم أجـــد أمامى ســـوى كـــوب المياه ، دائمـــا فى الأفلام العربية يقومون بكسر الزجاجات والأكواب والدخول بها فى المشـــاجرات، ولكننى أبدا لم أكن منهم....

كل ذلك حدث بسرعه غريبه، الكلب يقترب منى، أتخيل أين سوف تكون قضمته، وبعد أن عبر الطريق وقبل أن يصعد الإفريز، وأتمنى ألا تسألنى كيف حدث هذا.

وجدت أحد إخوانى المعاريض وبقطعة خشـــبية يهوى بها علـــى رأس الكلب، لقد ظهر ذلك الرجـــل من العدم، وأكاد أقســـم على ذلك، الرجل المشـــرد يصرخ فى الكلب بطريقة جنونية...

والأمر المرعب أن الكلب ورغم الدماء التى تنزف من رأسه كان مســـتمرا فى النظـــر لـ أنا بعينيه التي تشـــبه جمرات الجحيم ذاته ويكشـــر عـــن انيابه فى اســـتعداد لهجوم آخر،

وتناسى تماما الرجل الذى أسال دماءه وكأن لا وجود له من الأساس....

الرجل المشــــرد يصرخ فى جنون، والكلب ينبح ويســــتعد لقفزة، وصديقى المشرد جاءته المساعدة من شخص آخر؛ففى لحظة وجدت رجلا مشــردًا آخر طاعنا فى الســـن ممســـكا بماســـــورة حديدية يهوى بها على رأس الكلب.

مرة.. ومـــرة ...ومـــرة... وصديقه يشــــاركه بهراوته الخشـــبية، حتى ارتمى الكلب علـــى الأرض تماما من كثرة الضربات.

أما المشـــردان فقد استمرا فى ضرب الكلب بكل قسوة وغل، حتى أننى أشفقت على الكلب الصريع،....

حاولت أن أتحدث لهما، أن يكتفيا بما فعلاه لـ من خدمة جليلة، ولكن الرجل الطاعن فى الســـن أزاحنـــى بعيدًا وهو مســـــتمر فى ضرب الكلب بجنون،

وبعد عـــدد هائل من الضربات توقفـــا فى لحظة واحدة، وبشكل مباشـــر، وكأنهما قد تلقيا أمرا واحدا وجرى تنفيذه فى وقتها،....

الرجلان توقفـــا وهما ينظران للكلب المضـــرج فى دمائه، وتحدث أحدهم ببضع كلمات غريبة، وكأنه يوجهها لى، وفى لحظه، اشـــتعلت النيران فى جثة الكلب..

نار خاطفة اشـــتعلت فى جسد الكلب، والتهمته فى ثوانٍ معدودة....كنت أحدق فى المنظر غير مصدق لما أشـــاهده، مـــن أين اتت النيران؟! وكيف التهمت الكلب بهذه الســـرعة الهائلة؟!

حتى أنه لم يتبقَ منه ســـوى أجزاء ســـوداء متفحمة بلا أدنى شـــكل أو ملامح تشير إلى أن هذا المتبقى كان كلبا من الأساس،

نظرت للمشـــردين وأنا لا أعلم حقا ما الذى يجب على أن أفعله، لقد أنقذانى من موقف غريب، نظر لى أحد المشـــردين وهو يتمتم بكلمات أخرى أكثر غرابة من ســـابقتها، ويشير

ناحية الكلب، والرجل الآخر أيضا قال بضع كلمات بعصبية، وقذف الماسورة الحديدية من يده والآخر قذف القطعة الخشبية، وسار كلٌّ منهما فى اتجاه.

كنت اقف محدقا فى الرماد الذى كان كلبا منذ قليل، وانظر للمشردين اللذين افترقا هكذا وكأن شيئا لم يحدث منذ قليل، لم يطلبا منى شيئا، ولم يتفوها سوى بكلمات غريبة، وانصرفا فى هدوء، أما أنا فقد كنت بالفعل أشعر بحالة من الذهول المزوج بعدم التصديق:

- وعليه شوية نعناع يا باشا زى ماطلبت.

انتفضت من حالة الذهول التى كنت أعيشها لأجد طيارة عامل المقهى واقفاأمامى وهو يقدم لى كوب من الشاى بالنعناع، نظرت له فى بلاهة حقيقية:

- من الذى طلب منك الشاى يا طيارة؟!

أجابنى وهو يضع كوب المياه على الطاولة أمامى:

يا عمنا أنت لســـه طالبه منى مافيش من ثوانى، يادوبك دخلت لامؤاخذة الكنيف، وعملتلك الشاى.

نظرت له فى هلع:

- أنا طلبت منك شاى

أجابنى وهو يهرش فى شعره الكثيف:

- علىَّ الطلاق من حميدة مراتى اللى ربنا ياخدها، طلبته منى وقلتلى هاته بنعناع.

نظرت له ببؤس حقيقى وأنا أهز رأسى:

- شكرا يا طيارة.

من الواضح أننى طلبت منه الشاى بالفعل واننى قد نسيت، فمن المستحيل أن يأتى لى بالشاى بنفسه، العامل يؤكد ذلك، إذًا فلا مجال لإثبات أن قدراتى العقلية ليســـت بحالة جيدة، رسمت ابتسامة مصطنعة، وأنا أضحك بغل حقيقى:

- شكلى فعلا طلبته منك ونسيت يا طيارة سامحنى.

ابتسم طيارة ابتسامة عريضة، وهو يقول:

- حبيبى اعمونا ممكن طلب .

أجبته على الفور:

- اتفضل يا طيارة،

- وحياة أمك يا باشـــا نوعه إيه البورشام اللى خدت منه من شوية دا ياباشا، وحياة الغاليين اموت واعمل دماغ زى دى؟!

وبرد فعل طبيعى أمســكت بكوب الميــاه وقذفته فى وجهه، وهو يجــرى ويضحـك، ويقول:

- دماغ نااااااااااااااار وربنا .

عامــل المقهى اقتنع أننـــى أتناول أقراصـــا مخدرة، تلك مشــكلته التى له حق فيها تماما، ماذا عن مشــكلتى أنا، ما الـــذى يحدث لـ فى أول ليلة لـ خارج أســوار المستشـــفى.

لـــو ازدادت الأمور عن ذلك الحـــد فأعتقد أن عودتى مرة أخرى إلـ المستشـــفى قريبة للغاية.

تناولت الكتاب الملقى بجانبى وأمسكت به وأنا لا أعلم حقيقة إلى أين أتجه، وحانت منى التفاتة إلى الرماد المتبقى من جثة الكلب، فهو الدليل الوحيد على أننى لم أكن أهذى، وللأسف الشديد لم أجد أى شىء، لا أثر للرماد ولا الماسورة الحديدة، لم اجد أى شىء، ..

ابتلعت لعابى فى صعوبة حقيقة؛ فما يحدث الآن من أحداث متسارعة هو أمر مرعب، وأنا بالفعل فى حاجة ماسة إلى أن أستريح وأفكر بهدوووء.

دفعت لطيارة الحساب، وقررت أن اتمشى قليلا على كورنيش النيل، فأنا بحاجة فعلية لذلك.....

أسير على الكورنيش ممسكا بالكتاب الجهنمى فى يدى، وأنا أنظر إلى ضفة النيل التى امتلأت ببواقى مراكب الصيد والأشجار المهملة، لقد قضيت أجمل ايامى هنا، فى صيد الأسماك، مع (مصلح) و(عماد) وباقى الشلة، كنت ابتسم رغمًا عنى وأنا اتذكر تلك الليالى الجميلة وأنا اشاهد صفحة النيل الرائعه واستمتع بهوائه الممتع.

توقفت وأشــعلت لفافة تبغ، وأنا أنفث فيها كل الضغوط التى أمر بها، حينما لاحت منى نظرة إلى ذلك الجزء المظلم بجوار المســجد الموجود على كورنيش النيل، فهناك ووســط الإضــاءة الضعيفة، كنت ألمح ذلــك الصراع الغريب وكأن هنــاك رجلين يتقاتلان، كنت أهم بالركض ناحيتهم، ولكن صوتا بداخلى كان يطلب منــى ألا أذهب، فلا داعى لذلك وكفى ما يحدث فهل أنا فى حاجة لمشــكلة جديدة؟!

ربما هما لصان أو يتناولون مخدرا ما؛فمن المســـتحيل أن ينزل أحد فــى تلك المنطقة ليــلا إلا إذا كان الأمر جللا، وبعد صراع داخلى انتصر صوتى أنا، وذهبت ناحية الشــابين، وأنا أصيح بهما أن يتوقفا، وحينما اقتربت منهم كان العراك على أشــده، يفصلنى عنهما سور الكورنيش وعدد من درجات الســلالم التى تنتهى داخل المياه وملاصق لنا المسجد.

- انت يا عم أنت وهو استهدوا بالله.

كنــت أصيح بهما لعل أحدهما يلتفــت لى، ولكن لم يبد على أحدهما

أنه قد سمعنى من الأساس،

حسنا سوف أنزل لكم ...

وفى لحظة قفزت فوق حاجز الكورنيش الحديدى، وأنا أهبط الدرجات فى حذر، شابان بالفعل يتقاتلان بمنتهى العنف، وعلى ضوء عمود الإنارة القريب لا يظهر سوى الملابس الممزقة ..اقتربت منهما محاولا فض هذا الشجار:

- ماتصلوا على النبى يا شباب فيه إيه لكل ده، هتموتوا بعض؟!

وقبل أن أصل إليهما، توقف الشجار، ومع خطواتى ناحيتهما وجدت أحدهما يدخل حيز الضوء، وهو يقول لى:

- وأنت مالك انت، أخين بيتخانقوا، إيه يدخلك بينهم؟!

وهنا دخل الرجل ناحية الضوء لكى تظهر ملامحه، فذلك الوجه الممزق الذى يتهدل الجلد من جانبه الأيسر، وتلك العين التى تنزف بغزارة مع الفجوة السوداء التى توضح تماما أن فى الناحية الأخرى كان يحتل هذا المكان عين آدمية يوما

ما، كل ذلك كان يؤكد أن قرارى بالنزول إلى هنا فى ذلك الوقت هو الغباء بعينه.

الرجل يقترب منى وهو يوجه لى السباب والشتائم وأنا أتراجع للخلف بخطوات مرتجفة، قطع من جلد، وجهه تتساقط وهو يمسك البقية المتبقية منه ويرميها على الأرض، السباب يتواصل، وأنا أتراجع أمام ذلك الشيء.

ضهرى التصق بحائط المسجد الملاصق للمياه، وبجوارى درجات السلم التى كنت أتمنى أن أصعدها فى غمضة عين، ولكن الرجل الآخر الذى كان فى المشاجرة وقف وهو يتكئ بيده على الحائط قاطعا علىَّ الطريق تماما، وحينما نظرت إليه لم يكن يبدو عليه أى شىء، فقط فجوتى عينيه الغارقتان فى السواد ويده العظمية غير المكسوة باللحم من الاساس غير ذلك لم يكن هناك أى شىء غريب فيه، أى فزع هذا الذى أعيش فيه، وأى ليلة سوداء تلك التى أمر بها؟!

لم يكن يشغل بالى سوى محاولة تفسير كيف ستكون نهايتى على يد هذين الكائنين، وحينما اعتدلت لأرى الشيء

الواقف أمامى كان قد أمسك بفرع شجرة غليظ وهو يهوى به ناحيتى فى قوة، سوف أموت بسرعة أنا أعرف ذلك، لن يندم على فراقى أحد، أنا أعلم ذلك أيضا، أستمع لصوت الهواء من حركة فرع الشجرة قبل أن يهوى على رأسى وأنا أغمض عينى:

- اااااااااااااااااه.

قلتها، مسبقا، استعدادا لألم الضربة القادمة:

- بتعمل إيه عندك يا ابنى انت؟!

فتحت عينىَّ لأجد أحد الرجال واقفا فى الأعلى بجوار السور الحديدى الملاصق للمسجد:

- ماترد يا ابنى بتعمل إيه عندك فى وقت زى ده؟!

نظرت للرجل فى ذهول، وقلت مترددا:

- كان فيه اتنين بيتخانقوا يا حاج ونزلت أسلك بينهم، وواحد منهم كان هيضربنى بفرع شجرة.

رد على الرجل بعصبية:

- هما فين دول يابنى؟!

نظرت أمامى ولم أجد شيئا .. أى شىء.

ليكمل الرجل:

- انت واقف لوحدك ولازق فــــى الحيطة، وأنا سمعت حد بيقـــول اه وأنا داخل اصلى الفجر لاقيتـــك واقف لوحدك: اطلع يابنى، من عنــــدك ...اطلع الله يهديك.

لم أنتظر طلبه وفى لحظة كنت أقف بجوار المسجد لأجد ذلك الرجل المسن، طيب الملامح، وهو يينظر لى فى تمعن:

- ليه ياابنى نزلت فى وقت زى ده، وفى المكان ده؟!

قلت له فى تعجب:

- وقت إيه يا حاج احنا لسه بدرى، وكنت باسلك الخناقة.

وحركـــت يـــدى لانظـــر إلى الســـاعة لكـــى تصعقنى المفاجأة؛فالســـاعة تشـــير إلى الرابعـــة والنصـــف فجـــرا،

- لا اله إلا الله .. أنت تعبان يابنى، أو فيك حاجة.

لم أجب الرجل، وهو يصيح:

- يابنى استنى رايح فين؟!

تركته وأنا أعبر الطريق للناحية الأخرى متجها إلى منزلى، لقد فقدت حوالى ستة ساعات من الوقت، لا أعلم عنهم سوى أننى كنت أسير على الكورنيش ووجدت المشاجرة.

اين مرت هذه الساعات؟! ومن هؤلاء المسوخ اللذين رأيتهم بالأسفل؟!

وأين اختفوا هكذا وأين اختفوا من الأساس؟!

مئات الأسئلة كانت تلتهم عقلى التهاما، وأنا فى طريقى للمنزل، أكاد أصاب بلوثة عقلية بسبب مايحدث، كنت أصعد درجات سلم منزلى غير مصدق لما حدث، ومن عاداتى السوداء أن أنظر للأرض دائما وأنا أسير أو أصعد السلم، ضوء خفيف ينبعث من الشقة الموجودة فى الدور الأول، أشعر بانقباضة غريبة فى قلبى، القشعريرة أيضا تشارك بقوة فى

ذلك الإحساس، وحانت منى نظرة لأعلى السلم لأجد ذلك الجسـد الطويل الأسود واقفا ليسـد الطريق أمامى تماما، جسدا بشـريا إلى حد كبير، ولكن طوله غير بشرى إطلاقا، فمنذ متى يملك البشـر أطوالا تناهز الثلاثة أمتار.

توقفـت متجمدًا تماما، وأنا أنظـر بذهول لذلك الكيان الأسود الأشبه بالشبح الواقف أمامى، وحانت منه حركة غريبة وكأنه يمد يده نحوى، يد شبحية سوداء بلا أى ملامح يوجهها نحـوى، تراجعت للوراء خطوة وهو تقدم نحوى خطوة أخرى، لم أتمالك نفسى إلا وأنا أقول:

- ارحمونى بقى عاوزين منى إيه، أنا تعبت والله، تعبت من كل شىء عملته بقصد أو بدون قصد.

كنت أقولها بحزن وبكل صدق، فالحقيقة أننى فعلا تعبت من كم المواقف التى أتعرض لها خلال تلك الفترة الزمنية الوجيزة، ذلك الكيان يتقدم نحوى وفى هذه المرة لم أتراجع للوراء، فقط تسمرت فى مكانى، وليكن ما يكون، يمد يده الشبحية يشير بها ناحية الكتاب الذى أمسك به فى يدى، قلت له فى تساؤل:

- أنت تريد الكتاب إذًا؟!

وقبل أن يجيبنى، انفتح باب الشـــقة بالدور الأرضى وخرج منه جارنا الحاج عبد الحى:

- إيـــه ده؟! هو أنت اللى واقف يا (نادر)، بتكلم مين ياابنى .. حمدا لله على ســلامتك يارب تكون بخير ..

أجبته:

- الحمد لله يا حاج، أنا تمام.

بالطبع الكيان الأســود اختفى، وبالطبع لن أقول للرجل إننى كنت أتحدث مع شـــبح أسود، فقط قلت له:

- لامؤاخذة يا حاج أنا كنت باكلم (محمد) صاحبى هو طلع وفتح الشقة.

ينظر لى من اعلى عينيه:

- هو فين (محمد) ده أنا خرجت ولاقيتك واقف وشايفك من العين السحرية وأنت واقف وبتكلم نفسك، ربنا يشفيك ويعافيك يا بنى، ماتيجى تصلى معايا الفجر.

كنت أحـــاول التملـــص ولكن الرجل أصـــر على ذلك، المسجد بجوار المنزل تماما، وبعد أن سألنى عن حالتى وترحم على أمى وأبى، كنا قد وصلنا إلى باب المســـجد، خلع الرجل نعليه ودخل المســـجد وقمت أنا بخلع حذائى بالفعل، وهممت الدخول وراءه للمســـجد، حينما شـــعرت أننـــى قد ارتطمت بحاجز من النيران المتوهجـــة، حاجز غير مرئى ولفحة نارية رهيبـــة غمرتنى بمجرد أن حاولت دخول المســـجد، حاولت أن أدخل المســـجد مرة أخرى، ولكن شـــعرت بذلك الحاجز أشد وأكثر ســـخونة حتى أننى تراجعت للخلف فى قوة متحاشيا ذلك اللهيب الخفى، وانتبهت فى هذه اللحظة للكتاب الذى أمســـك به فى يدى، فقد كان ملتهبا من السخونة، وحينها أدركت أن من المســـتحيل أن أدخل المسجد ومعى هذا الكتاب، وبداخل المســـجد كان الحاج عبد الحى ينادى علىَّ،

- ادخل يا (نادر)، استعيذ بالله وادخل، خايف من إيه؟

ولم أجبه ولن أجيبه، فلكى أجيبه يجب أن أشـــرح له شرحا مفسرا عن سبب عدم دخولى للمسجد، وبعد أن أشرح له فلن

يغير ما فى ذهن الرجل من شــىء، فقط سوف يتأكد أكثر وأكثـــر أننى مخبول تماما، لذا فقد تراجعت مرتديا حذائى، ووســـط نداءات الرجل كنت قد تركـــت المكان برمته عائدا إلى المنزل، مقررا أننى ســـوف أفتـــح الكتاب وأجد حلا جذريا لمشـــكلتى، أو بمعنى أصح حلا للعنتى، ها أنا ذا أجلس وحيدا فى المنزل وأضع أمامى ذلك الكتاب الملعون الذى تسبب بشكل أو بآخر فى كل ما حدث ويحدث.

هل أفتحه واقرأ؟!

الحقيقـــة أن كل ما حدث ســـابقا ويحـــدث الآن مرتبط بذلك الكتاب، وبتردد أمســـكت بالكتاب وبدأت اقرأ فيه على غير هدى، فأنا لا أعلم من الأســـاس مـــا الذى يجب علىَّ أن أفعله، فتحت الكتاب من منتصفه هذه المرة، تلك الصفحات الجلدية الرقيقة، لايزال ملمس الكتاب دافئًا، على الرغم من مرور وقت منذ محاولتى دخول المســـجد.

باب الثغرات

إن الحاجـــز الذى يفصلنا عن بنى آدم ليس حاجزا نهائيا, بل تفصلنا عنهـــم ثقوب ومداخل، ولكـــن تلك الثقوب لها مواقيت محددة تفتح وتغلق فيها، ولا يجوز لعبادى أن يدخلوا أو يخرجوا إلا بعهود وقربان.

ونفرق هنا بين الصواعـــد والهوابط، فتلك الثقوب التى تصلنا بالأرض الأولى التى يسكنها البشر ممتدة إلى الأسفل؛ فنحن نســكن الأرض الثانية، وأسفلنا خمس أراضٍ وجميعهم تمر بهم هذه الثقوب، وعلى مدار السنة لا يمكن أن تفتح هذه الثقوب بين السبع أراضى إلا فى سبعة أيام بالسنة.

كنت اقرأ هذه المعلومـــات وأنا مذهول من هذه المعلومات الغريبة عن وجود سبع أراضٍ، والشيء المفزع أن الكتاب يؤكد وجود كائنات تحيا فى هذه الأراضى الســـت بخلاف الأرض التى نسكن عليها.

كنت مصدوم من هذه الكتابات؛ فهي تتنافى مع كل النظريات العلمية التى تفرض أن قلب الكرة الأرضية مجوف وملىء بالحمم البركانية...

لم أكمل الصفحة التى كنت أقرأ فيها، وقررت أن أقرأ من الثلث الأخير فى الكتاب لعلى أصل لشيء أو أفهم شيئا، علىَّ أن أقرأ الكتاب كله من البداية فى وقت لاحق

صفحة غريبة بها شكل لجمجمة شبه بشرية يبرز فى مؤخرة هذه الجمجمة قرنان، والوجه نفسه هو مزيج بين ملامح البشر وملامح غريبة بشعة، فالنصف غير البشرى تحتله عين مشقوقة طوليا وسوداء تماما بلا أى بياض فيها، وأسفل الرسم كانت هذه الكلمات.

وهذا الوجه يمثل حالات الدمج التى تمت بين أبنائنا وأبناء آدم، ولكى يصل الدمج إلى مراحل متقدمة من التماثل الشيطانى فيجب أن يقوم أبناؤنا بعمل الآتى مع أبناء آدم لدمجهم وضمهم لنا، يضع لها قطرات من دماء حيض، أنثى بكر مقروء عليها الآتى:

«بســم مالك الحياة ورب كل شــىء مــن وحَّد أجناس وأصنــاف الخلق تحت راية عدله وحكمتــه، برزخيل برزخيل ياعور الميراح ياعور الزيجار اســهوان اياع ســولاغ فوانى، أنت ربــى وربهم أنت ربى وربهم فأتنا بهــم خاضعين واجعلهم لنا خانعين، اليــوم اليوم الحين الحين فليأتونــا ولو بعد حين.

تكرر لمدة ســبعة أيام مع المراد مــن أبناء آدم، ويتم الجماع بعدها مباشــرة، وبعد نهاية اليوم السابع يقع الشخص المراد تحت سيطرتك تماما، ويبدأ فى التحول والميل إلى طقوسنا، وتبدأ القرون فى الظهور فى أعلى رأسه وهى دلالة على النجاح فى عملية التحول.

كنت أقرأ كل هذا وأنا أنظر للوجه البشــع الهجين بين البشر والشياطين، هل هذا حقيقى، هل بالفعل يمكن أن يحدث تزاوج بيننا وبينهم، كنت أشعر برجفة من مجرد التفكير فى ذلــك الأمر فكيف لمخلوق من نار أن يتزوج مخلوقا من طين، والأدهى أن ذلك الكتاب يؤكد أن بعد تنفيذ الطريقة بشكل صحيح سوف يتحول البشــر إلى شياطين، مستحيل أن يكون

ذلك حقيقيا، تركت الكتاب من يدى وأنا أشعر بصداع رهيب...........

ففكرة تحول البشر لشياطين شاهدناها فى أفلام الرعب،

ولكن الكتاب يؤكد صحتها، والأدهى أن من هذه الطقوس الرهيبة هو إطعام الشخص المراد تحويله من دم حيض، أليست دماء الحيض قاتلة؟! أم أن المقصود هى أن تقتل جزءا معينا فى الجسد البشرى.

يا إلهى؟!

أى كتاب هذا الذى بين يدى كنت أضغط بكلتا يدى على رأسى الذى يكاد ينفجر من الصداع، تركت الغرفة وأنا أبحث فى الأدوية الخاصة بى عن أى مسكن لهذا الصداع الرهيب، وجدت بعض الكبسولات، وتناولت كوبا وذهبت إلى المطبخ للحصول على المياه، فتحت الصنبور، وكما هو متوقع، كانت المياه صفراء قاتمة بسبب عدم استخدام المياه منذ فترة، وقفت فى المطبخ وأنا أشاهد المياه المليئة بالصدأ، وبعد لحظات توقفت المياه عن النزول تماما، كل ما أريده هو بعض المياه لأتناول الدواء:

- أهذا طلب مستحيل؟

قلتها وأنا اخبط بيدى على خلاط المياه فى عصبية، ولوهلة شعرت بأنفاس ساخنة تأتى من خلفى فاستدرت فى جزع ولم أجد أى شىء.

ها قد عادت المياه أمسكت الكوب ووضعته، وبدلا من أن يمتلىء الكوب بالمياه كان الصنبور يضخ دماء، دماء حمراء قاتمة، وفى هلع قذفت الكوب فى الحوض وأنا أشاهد كميات الدماء التى تنهال من الصنبور، كنت محدقا فى رعب فى ذلك المنظر الذى يستحيل أن أتخيل حدوثه، دماء تأتى من الصنبور ومن شدة رعبى كنت أشاهد الحوض وهو يوشك على الامتلاء وأنا لا أحرك ساكنا، هززت رأسى لأخرج من تلك الحالة وأنا أحاول إغلاق ذلك الشلال المتدفق من الدماء، ولكن المقبض أبى أن ينغلق حاولت أن أضغط عليه أكثر وأقوم بلفه فى الاتجاه المعاكس، ولكن لم تتوقف الدماء عن النزول حتى أنها ملأت الحوض وبدأت تنساب على أرض المطبخ:

- ياإلهى، كابــوس من نوع آخر هو ما أمر به الآن، كنت أتلفت حولى للحصول على أى قطعة قماش أو أى شىءأستطيع معه إيقاف تلــك الدماء، وتداركت الموقـــف وقررت إغلاق المحبس العمومى، خرجت من المطبخ مســرعا لإغلاق محبس المياه العمومـــى الموجود بجوار باب المنـــزل، وأغلقته بالفعل، وعدت مرة أخرى لأرى الدماء التى غطت الحوض وافترشـــت أرض المطبخ،

لأول مرة فى حياتى أجد نفسى أمام هذا الكم من الدماء، حاولت أن أقـــوم بتنظيف الأرض المملـــوءة بالدماء ومحاولة تسليك الحوض الذى سد تماما، وبعد أن قمت بتنظيف جزء من أرضية المطبخ وجدت كيســـا من البلاستيك أرتديته فى يدى محاولا إزالة البقايا التى تسد فتحات الحوض...رائحة الدم مقززة .

يدى ترتجـــف بمجرد وضعهـــا داخل الحـــوض وبمجرد ملامســـة يدى للحوض المملوء عن آخره بالدماء، بدأت تلك الفقاقيع تظهر على الدم، وذلك يدل على أن الحوض بدأ فى

تصريف الدماء، لامســـت يدى من خلال الكيس البلاستيكى فتحات بالوعة الصرف وتحسســـتها بأصابعـــى فلم أجد أى شىء يعترض تصريف الدماء، هممت بإخراج يدى من الدماء، ولكن شـــعرت وكان هناك يدًا تمســـك بى من قلب الدماء،

يداً قوية تتشبث بيدى فى قوة، كنت أستعيذ بالله فى رعب وأنا غير مصدق لما يحدث وأنا أحاول إخراج يدى من الحوض، ولكن تلك اليد كانت تجذبنى أكثر وأكثر،.....

حاولـــت بكل ما أوتيـــت من قوة أن أخـــرج يدى من تلك القبضـــة وبصعوبة بالغة تحـــررت يدى، وبـــرد فعل طبيعى تراجعت بظهرى فى قوة لأســـقط عددا من الأوانى، وقبل أن أتحرك خارج المطبـــخ، هالنى ما رأيته وتســـمرت فى مكانى فى فـــزع ورعب، قل كما تشـــاء، فلن أســـتطع وصف ذلك المنظر؛فعلى حافـــة الحوض ومن قلب الدمـــاء كان هناك ما يشـــبه اليد المشـــوهة تحاول الخروج من الحوض وتبعها صوت مواســـير المياه وهى تهتز فى قوة، ولم أتمالك نفســـى مـــن هول المنظـــر، التصق ظهـــرى بالجدار وأنـــا أحدق فى

تلــك اليد التى تحــاول الخروج من الحــوض، وأنا أتمتم:

- مســتحيل ؟! أنا اكيــد باهلوس، مســتحيل ده يكون حقيقى.اليــد تخرج مــن حوض المطبخ ومــن ورائها تتناثر الدماء وأشــلاء غريبة، أنظر لما يحــدث وقد ألجمنى الذهول تماما، اليد تسقط أرضا وتتناثر الدماء على وجهى، وتستمر فى التقدم نحــوى وأنا أحدق فيها فى فزع، وشــعرت بتلك القبضات المؤلمة تعتصر أرجلى وقدمى، قوة هائلة تسيطر على جســدى تماما، حاولت التملص بكل ما أوتيت من قوة، ولكن للأسف باءت كل محاولاتى بالفشل، وأنا أنظر إلى اليد التى تتقدم نحوى، وقد بدأت تزحف فــوق قدمى، بمنظرها المقزز والدماء التى تسيل منها والأشــلاء التى تجرها خلفها.

تحركــت اليد أكثر وأكثــر حتى وصلــت إلى رقبتى، ودماؤها تســيل لتغطى رقبتــى تماما.....

حاولــت أن أبعد وجهى عنها فى قــوة، ولكن تلك القوة التى تســيطر على أجزاء جســدى كانت هائلة بحق، يداى اتخذتــا وضعية أفقية بجــوار كتفى، واليــد منتصبة على

رقبتى، وفمى ينفتح رغما عنى، وينطلق شـلال الدماء ليعبر فمـى فى قوة، دماء حارة سـاخنة مقيتـة، ابتلعتها مرغما، شعرت وكأننى أغادر الأرض وأطير لأشاهد سماوات مفتوحة وعمالقة يتحاربون، وأناسا يذبحون، أقوام تفنى وخلق جديد يبدأ، شاهدت اندثار حضارات فى غمضة عين، وشاهدت ازدهار أخرى فى لمحة بصر.

خلق يشبه البشـر ولكن جلودهم يكسوها اللون الأخضر، قوم من الأقزام يحاربون أقوامًا من سـلالة أشبه ما تكون إلى الحشـرات، مئات السـنون مضت وأنا فى حالتى هذه أشاهد تاريخ غريب، لأقوام أغـرب وحضارات أغرب وأغرب.

وفى قوة اندفعت إلى باطن الأرض، مخترقا حاجز من المياه، شـعرت بها تغمرنى، للحظات معدودة، لأجد نفسى فى تلك المدينة المتقدمة بمبانيها الشـاهقة وتقنياتها الخيالية، أناس غريبو المنظر بأعينهم التى تشـبه حدق الجراد، يسـجدون لتمثال مرعب، فى خشوع ورهبة، وحينها سمعت ذلك الصوت ينساب عبر خلايا مخى الرمادية:

- إنه إلهنا يا آدمى.

وتغــيرت الصورة تماما لأصبح فى ظلام دامس، فى حالتى هــذه التى من المفروض أننى أعيشــها وأنا ملقى على أرضية المطبخ، لم يكن من الطبيعى أن أسأل أو استفسر عن أى شىء، ولكن الســؤال انســاب أيضا عبر عقلى، متوجها بالسؤال إلى الصوت الذى سمعته،

- من أنت وعن أى إله تتحدث؟!

أجابنى الصوت بشــكل أكثر حزما وقسوة، إنه الإله الذى يســتحق عبادتك وعبــاده كل قومك، إنه الذى يســتحق الثناء والشــكر على كل ما يقدمه لنــا، لقد جعلتك ترى كيف يســيطر إلهنا على الأرض وما فى باطنها، وكيف هو أحق بالعبادة، قاطعته مســتنكرا:

- الله وحده هو الإله الذى نعبده.

انفجرت ضحكاته فى جنبات عقلى، وهو يكمل:

- إنها الكذبة التى تم اغتيال عقولكم بها.

وأكمل:

أســــتطيع أن أعطيك ألف سبب على أن إلهنا ومليكنا هو الأحق والأجدر بالعبادة، فإلهنا يتيح لنا الرغبات، ولا يمنعنا من شـــىء، ولا يعدنا بجنات مستقبلية وإنما يعطينا كل ما نشـــاء فى دنيانا بلا قيود وبلا إكـــراه، وبلا أى عقاب، حياتنا ملكنا ونحـــن نهبها له وهو يعطينا ما نريد.

قاطعته فى حدة:

أنت تقصد الشيطان؟!

شعرت بضحكاته مرة أخرى وهو يكمل:

- الشيطان ...بلعزبول، سيعان، ارخيل، ميعاخ كلها أسماء إلهنا.

شعرت بنفاذ صبر، فسألته بغتة:

- ماذا تريد منى؟!ولمـــاذا وضعتنى فى هذه الحالة؟! ومن أنت من الأساس؟!

أجابنى:

- أنا رســـول لك يا آدمى جئت لك بالهداية، وبمكافأة إذا نفذت ما يطلب منك.

أجبته:

- ولكننى لست فى حاجة لمكافأتك السخية.

وما كـــدت أنتهى من كلمتى حتى تغير المشـــهد تماما: فتيات يرقصن فى خلاعـــة، ويتمايلن مثل الأفاعى، وتجمدت الكلمات فى عقلى، إنه أنا.

أجابنى الشىء فى سرعة:

نعم هذا هو موضعك فى جنة الهنا.

فأجبته فى تحدٍ:

- وإن رفضت.

تغير المشهد بغتة لمشهد آخر تماما لأجد نفسى معلقا من أرجلى ورأسى يتدلى للأســـفل والدماء تنزف من شتى أنحاء

جسدى، وحولى مئات من الأشخاص غريبى المنظر ..عرايا تماما يقذفوننى بالحجارة ومنهم من يمسك بسكاكين ويغرسها فى جسدى فى قوة،

- توقف.

صرخت بالكلمة متألما، وأنا بالفعل أشعر بالسكاكين تقطع أوصالى:

- هذا هو بداية ما سوف تلاقيه من عذاب إذا رفضت، سوف أعود لك.

قالها وأنا اشعر بعودة احساسى بجسدى وبواقعى، سوف أعود لك يا آدمى، محملا بعذاب لا طائل لك به، أو بجنات حقيقية تهواها الأنفس الرافضة لعيش واقعها المرير، ومع نهاية كلمته ارتدت رأسى للخلف فى قوة وأنا ألتقط أنفاسى وأستعيد قدرتى على التحكم فى جسدى، وفى سرعة كنت ألوح بيدى لأبعد اليد، وآثار الدماء من على جسدى، ولكن لم يكن هناك شىء، أى شىء، لا آثار لدماء ولا لليد الجحيمية التى كنت تقبض على روحى.

نهضت مترنحا ناحية حـــوض المطبخ غير مدركٍ إذا كان ما مررت به هو حقيقة أم خيال أم حالة متقدمة من الخبال.

كنت أحاول أن أضع رأسى تحت المياه حتى أستفيق تماما مما مررت به، بالطبع حوض المطبخ لا يوجد به دماء ولا وجود لأى شـــىء، تركت رأسى للمياه تغمرها، وتناولت المنشفة وأنا أنظر للمرآة وهالنى ما رأيته؛فعينى كانت وكأنها كأســـان من الدم، بلا مبالغة يكاد الدم يغطى سواد عينى.

هززت رأســـى غير مصدق لمنظر عينى المرعب ونظرت مرة أخـــرى للمرآة ولكـــن كان المنظر حقيقيـــا، فالدماء تغطى عينـــى بالكامل، أشـــعر أن طاقتـــى قد اســـتنفدت عن بكرة أبيهـــا، ولم يعد لـــدى المزيد لأظل واقفـــا، فبالفعل ما مررت به أســـتنفذ كل طاقتى العقلية والجسدية، وتركت نفسى للنـــوم، وليكن ما يكـــون، لم يكن نوما هادئـــا على الإطلاق، فبرغـــم الإرهاق الرهيب الذى كنت أشـــعر بـــه إلا أن عقلى أبى أن يستســـلم تماما للنوم، وظل يرسل لـ بمشاهد غريبة وأحاديـــث مع أناس أكثـــر غرابة، لقاءات مع أشـــخاص لا

أعرفهم، أتحدث معهم لثوانٍ معــــدودة ثم أركض وأركض، وأخيرًا رأيتها، رأيت أمى الغالية.........

كنت أقــف بجوارها وهــى تربت علــى كتفى، كنت أشــاهدها فى حلمى وأنا أعرف أنها قد توفيت وتركتنى، ولم تنطق بحرف،

فقط كانت تنظر لى من أعلى عينيها وهى تبتسم،

كنت أمســـك يدها فى قوة، وأنــا أرجوهاألا تتركنى، حاولت أن أتشــبث بها ولكنها سحبت يدها بهدوء وهى تربت على كتفى، كنت أرى كل ذلك فى حلمى معها، ســحبت يدها فى هدوء وهى تشــير إلى شىء ما خلف كتفى.

كانت تشير إلى ذلك الدولاب العتيق الذى كانت تحتفظ فيه بأى أوراق هامة،

سألتها فى استغراب:

- ما الموجود فى الدولاب يأمى؟!

ولكنها لم تجبنى، وظلت تشير إلى الدولاب العتيق وتحديدا إلى مكان وجود الأوراق، حتى أننى استدرت ناحية الدولاب بالفعل، وقبل أن تلمسه يداى التفت ناحية أمى ولكنها كانت قد اختفت، شعرت بحسرة شديدة تعتصر قلبى، فلم أشبع من أمى ومازال فراقى عنها وعدم حضورى لجنازتها يعتصر قلبى.

- أمى أمى...

كنت أنادى عليها، بلا مجيب.

وأخيرا استيقظت وأنا اتلفت حولى، ربما أجد أمى بجانبى، وبعد ثوانٍ أدركت أننى كنت أحلم، نهضت من الفراش المليء بالأتربة وأنا أشعل لفافة تبغ، صداع رهيب يغزو خلايا مخى فى عنف، كنت أدخن لفافة التبغ فى استمتاع حقيقى، والحقيقة أننى أعشق التدخين، ذلك شىء لا شك فيه، هناك نوع من المدخنين يدخن بسبب اعتياده على فعل ذلك، وهذا النوع يستطيع أن يتخلى عن التدخين بسهولة، أما النوع الآخر الذى أمثله، فهو النوع الذى يعشق رائحة التبغ، وهو يشتعل

ويســـتمتع بذلك، وهذا النوع هو من تبقى معه السجائر إلى أن ترافقه إلى قبره.

لاحت منـــى التفاتة ناحية الـــدولاب العتيق الذى كانت تشـــير له والدتى فى الحلم، وكان الشـــىء اللافت للنظر أن أحد الأدراج الخاصة بالأوراق المهمة كان خارج الدولاب تماما.

أنا واثق أنه لم يكن كذلك حينما دخلت بالأمس، نهضت من على الأريكة فى تثاقل وأنا أشاهد ما فى الدرج، كان هذا الـــدرج فى الماضى من المحرمات على أى شـــخص أن يفتحه، مجموعة أوراق غريبة وصور لرخصة قيادة سيارة لوالدى رحمه الله وســـاركى تســـلم المعاش الخاص بوالـــدى، ما هو معنى ((ساركى)) من الأساس؟!

لا أعلم ....

ولا أريد أن أعلم...

أوراق وشهادات دراسية لى ولأختى، ثم علبة معدنية عتيقة مغلقة، سوف أفتحها بالطبع لا نقاش فى ذلك، داخل العلبة

هنـــاك ورقة صفـــراء سميكة تم تطبيقهـــا بعناية، أخرجتها وتركتها بجوارى لأتفحصها بعد الانتهاء من جرد محتويات الصندوق.

- رحمتك يارب!! قســيمة زواج جـــدى وجدتى ؟! ما هو المنطـــق من احتفاظ أمـــى بتلك الوثيقة؟!

كيس بلاستيكى به خاتم وقرط من الذهب:

- الله يرحمك يا أمى.

قلتها مبتسما:

- فيعلم الله أن حالتى المادية صعبة للغاية.

عبوة دواء ضغط بلاستيكية، فتحتها لأجد بداخلها عملات معدنية مصريـــة قديمة كان والدى يهـــوى جمعها، وأوراقا أخرى لا نفع لها..

عدت لأفتح الورقة الكبيرة المطوية فى هدوء، نســـب عائلة الدكرورى، عائلة والدى، ورقة قديمة للغاية، تشـــرح نســـب العائلة إلى جدى الأكبر الشيخ الدكرورى، وتحكى نبذة عنه

وأنه كان من أولياء الله الصالحين، وأنه كان رجل خير، وأنه تنبأ بيوم وفاته وطلب من أولاده ألا يفتح عليه باب غرفته إلا بعد ساعتين، وحينما دخلوا الغرفة كان الشيخ الدكرورى قد اختفى، ومن وقتها وقد بُنى له مقام فى مدخل مدينة السويس، وتصف الشهادة تسلسل الأبناء والأحفاد إلى جدى والد والدى مباشرة، لا أرى لكل ذلك أهمية، وبعناية قمت بتطبيق شهادة النسب ووضعها فى مكانها، بالعلبة المعدنية، وأخذت المشغولات الذهبية والعملات؛ فأنا فى أشد الاحتياج لها.

ارتديت ملابسى ونظارتى الشمسية لأخفى منظر عينىَّ الداميتين، وأذهب لأحد محلات بيع الذهب، وأعرض عليه الخاتم والقرط الذهبى، عرض علىَّ مبلغا لم أفاصله فيه، وعرضت عليه العملات القديمة وأخبرنى أنه لا يهتم بجمعها من الأساس، شكرته وحمدت الله أننى أمتلك مبلغا من المال يكفى لى للطعام والسجائر لفترة، ولكن ماذا سوف يحدث إذا نفدت منى النقود، يجب أن أبحث عن وظيفة ...

كانت الأفكار كلها تدور فى عقلى، وأنا أسـير بلا هدى فى منطقتى بساحل روض الفرج، الثالثة عصرا، رائحة تجتاح أنفى أفتقدها منذ فترة، إنها رائحة حواوشى عوف، بلا نقاش هو أفضل من يصنع الحواوشـى فى شـبرا، ناهيك عن أنه تسـبب فى دخولى المشفى خمس أو سـت مرات بسبب مغص معوى، ولكنه حقا يصنع حواوشـى بخلطة لا يعلمها إلا هو، وله السـبق فى أن يكون أول محل حواوشـى يعطيك كيس فوار مهضما بعد تناول الحواوشـى، ابتسـمت وأنا أقف أمام جوكا، وهو العامل الذى يقوم بتسـوية الحواوشى، وأتخيل أى نوع لحم هذا الذى يخرج منه رغيف الحواوشـى بعشرين قرشـا، أعطيته خمس وعشرون قرشا وطلبت منه رغيفين من الحواوشـى، عرض علىَّ الفوار بالباقى ولم أستطع أن أكتم ضحكاتى، أخذت كيـس فوار واحد وتركت له الباقى، قمت بشراء رغيفى عيش بلدى طازجين من أجل أن أضع بداخلهما الحواوشى، هى عادة لم أغيرها منذ زمن وتشبه إلى حد كبير من يضع الكشرى فى العيش.

- (نادر) ...يا الله؟!

التفت إلى مصدر الصوت لأجد حسام، صديقى الغالى منذ أيام الدراسه، لقد نسيت أنه يسكن بجوار محل عوف:

- حمدا لله على السلامة يا (نادر) ...

قالها حسام وهو يحتضننى فى قوة:

- والله كنت هآجى لك مع (وليد) و(محمد) بس ظروف الشغل.

- الحواوشى يا باشا وألف هنا وشفا ...

قالهـا جوكا وهو يعطينى الحواوشـى، وانفجر حسـام ضاحكا، أنت لسه مبطلتش يابنى، لسه بتحب الحواوشى؟!والله أنت مجنون رسمى،

ولاول مرة منذ خروجى أشعر بقسوة هذه الكلمة،

وهو ما شعر به حسام:

- أنا آسف يا (نادر) والله ما قصدى، سامحنى.

هززت رأسى وأنا أساله عن صحة سراج وعلاء أخوته:

- والله يا (نادر) كل شىء تمام الدنيا ماشية، وعاملين زى اللى عايشين فى خلاط ماحدش فاهم حاجة وكلنا بنخبط فى بعض.

- يلا بس تعالى نقعد عندنا فى الشقة والله الحاجة هتفرح بيك قوى.

حاولت التملص منه، ولكن فى النهاية وبسبب إصراره وافقت، (حسام) يسكن فى منزل مكون من ثلاثة طوابق، منزل صغير ولكن تشعر فيه بالراحة النفسية بمجرد أن تدخله.

ولكن وقبل أن أضع قدمى داخل المنزل شعرت بتلك الرجفة، رجفة غريبة اجتاحت جسدى قبل أن تطأ قدمى داخل المنزل، حتى أن (حسام) تراجع برد فعل طبيعى من حركتى وتراجعى المفاجىء:

- فيه إيه يا (نادر) أنت فزعتنى بجد؟!

ابتلعــت لعابى فى صعوبة وأنا نفســى لا أجــد مبررًا أو كلمــات توضح الحالة التى مــررت بها منذ لحظات، ولم أدر ســوى الكلمات التالية تنســاب من شفتى بلا وعى:

- (حســام) أنا شامم ريحة الموت فى بيتكم، أقسم لكم إننى قلتها ولم أفهم معناها حتى وقت كتابة هذه السطور.

نظر لـ (حسام) وهو عاقد حاجبيه:

- تقصــد إيه بريحة الموت يا (نادر)؟! هو الموت أساســا ليه ريحة؟! يا راجل استعيذ بالله وادخل وماتفكرش فى اى شىء.

وضع يده على كتفــى وهو يحاول أن يدفعنى بهدوء مرة أخرى ناحية باب منزله، ولكننى تســمرت فى مكانى وأبيت أن اتحرك، وللمرة الثانية وجدت نفســى أكرر الكلمة وكأننى مرغم علــى تكرارها بلا أى إرادة أو تحكم من ناحيتى:

- يا (حسام) أنا شامم ريحة الموت فى البيت ده صدقنى.

كنت أقولها وأنا ارفع رأسى عاليا وانظر للمنزل، الحقيقة التى ربمــا لن يصدقها من يقرأ هــذه الكلمات أننى بالفعل

كنت أشـــعر برائحة غريبة فى المنـــزل، هى خليط من روائح المقابر وروائح المصحات وروائح مشـــارح المستشـــفيات، كنت أشـــعر بهذه الرائحة تقتحم أنفى رغما عنـــى، رائحة الموت، مصطلح جديد يضاف إلى أرشـــيفى، (ما علمته بعد ذلك أن والد (حســـام) وجارهم وزوجته قد توفوا جميعا بعد أيام من زيارتي له) تلك السيدة تمر بجوارنا فى الحارة وهى تشاهدنا أنا و(حســـام) ونحن نتجـــادل على الدخـــول للمنزل، على كتفها طفل صغير تصرخ فيه فى محاولات مستميتة لإخماد بكائه المســـتمر، أنا أكره بكاء الأطفال، أكرهه بشدة وأكره دلعهم المبالغ فيه، السيدة تمر وهى ترمقنا بنظرات متفحصة كعادة كل النســـاء والرجال فى المناطق الشعبية، أنت تكسر تابو خاصا بحوارى وأزقة وشوارع شبرا يا صديقى، فلا تتجرأ أن تجادل أو تبدى امتعاضك، وإلا فمصيرك قاسٍ للغاية....

الســـيدة تمر بجوارى، ونســـيت (حسام) ونســـيت المنزل وتركـــزت نظراتى على الطفل الصغير، طفل يمســـك جزء من خيارة، يلتهمه فى نهم وسط بكائه ومخاطه، ومع مرورها

بجوارى تماما التقت عينى بعين الطفل بشكل لا إرادى، وللمرة الثانية أو الثالثة فى هذه الدقائق القليلة أشعر بتلك الرجفة تجتاح كل خلية فى جسدى،...

فعينـــا الطفل الصغير لم تكن مثل أعـــين أى طفل عادى، أو لأكن أكثر دقة فلم يكن هناك عينان من الأســـاس فقط محجران يملؤهما سواد مرعب وبداخله شعلة من النار، هكذا كنت أرى عينى الطفل، ولوهلة ترك الطفل ما كان يلتهمه، وارتسم شـــبح ابتسامة ساخرة على شفتيه، نعم نحن نتحدث عن طفل لا يتجاوز السنتين، أنا أعلم ذلك، وانا أعلم أن من المستحيل أن يحدث ما أحكيه، ولكن الكارثة انه حدث، والكارثة الأدهـــى والذى يدعو للفزع حقا هـــو أن مع نظراتى الذاهلة كنت أشير ناحية الطفل ومع إشارتى، التفت (حسام) ناحيته أيضا وهو ينظر له، وتراجع للخلف لبضع خطوات، تراجع وهو يحدق فى الطفل، الذى أكملت والدته المســـيرة وهى ممسكة به وتتلفظ بأقذع الشـــتائم، ليس هذا ما يهمنى، فما يهمنى حقيقة أن (حســـام) رأى ما رأيته، سألت (حسام) فى لهفة:

- لقد شاهدت ما حدث يا حسام أليس كذلك، لقد شاهدت الطفل بعينيه الغريبتين.

قلتها وأنا أمسكه بكلتا يدى من كتفيه:

- لقد رأيته، أجبنى يا (حسام) أرجوك.

رفع رأسه فى هدوء وهو يأخذ نفسه فى صعوبة:

- ايوه يا (نادر)، أنا أول مرة أشوف حاجة كده، أعوذ بالله، الطفل ده عينيه غريبة فعلا.

سألته فى سرعة:

- يعنى أنا مش مجنون يا (حسام). مش مجنون صح جاوبنى أرجوك وريح قلبى.

كنت أقولها له وأنا بالفعل فى حاجة لكلماته القادمة.

نظر لـ (حسام) وشبح ابتسامة يلوح على شفتيه:

- انت عمرك ما كنت مجنون يا (نادر)، أنا فعلا شفت الطفل، وفعلا عينيه غريبة.

شعرت بهذه الكلمات تنزل بردًا وسلامًا على قلبى، فقلت له بعد أن خرجت زفرة حارة من صدرى:

- الحمد لله يا (حسام) طمنت قلبى.

نظر لى (حسام) وهو يرفع حاجبه الأيمن:

- طمنت قلبك وجننت اللى خلفونى اللى يخرب بيتك.

كان يقولها مازحا:

- ريحة المـــوت وبعدها عيل صغير بعينين غريبتين، يا حاج ارحم امى الله يكرمك وســيبنى اعيش ويــلا بينا نطلع الله يكرمك.

ابتســـمت رغما عنى، وأنا أصعد معه درجات ســـلم المنزل العتيق، طلبت من حسام أن نصعد إلى سطح المنزل لكى نكون على راحتنا، حـــاول إثنائى عن ذلك ولكننى أكدت له أننى بحاجة ماســـة إلى استنشـــاق الهواء، وكذلك فى السطح ســـوف نجلس على راحتنا، الحقيقة أننى أشعر براحة نفسية فى المكوث فى آخر دور فى البنايات التى أمكث أو أســـكن بها،

والحقيقة أن القدر دائما يعطينى ما أريد، مســـتقبلا أدركت ذلك، بــل الحقيقة أننى تأكدت منه:

- حبيبى يا أبو (نادر).

ها هو (سراج) شقيق (حسام) ذلك الشاب الثلاثينى الذى بدأت خصلات الشعر الابيض تغزو رأسه، محاسب قانونى فى إحدى الشركات المحترمة، قالها وهو يحتضننى فى قوة:

- واحشنى جدا والله يا (نادر).

- وانت كمان والله يا (سراج).

- رجعت متى من سويسرا؟!

- سويسرا ؟!

قلتها متعجبا.

- سويسرا إيه بس يا (سراج)؟!

كان يمازحنى ويطلق على مستشـــفى الأمراض العقلية لقب سويسرا.

- يا (نادر) وربنا أنت كنت فى نعمة، الناس اللى فى البلد دى خلاص اتجننت واللى جوا هما اللى عاقلين.

الفتى يحاول أن يهون علىَّ بطريقة لطيفة، أشكر له ذلك، سألته عن أحواله وعن أحوال والدته ووالده:

- وهل سيتزوج قريبا ؟!

كل ذلك الحوار يدور وأنا ألتهم الحواوشـــى، الأسطورة تقول ضع الحواوشـــى داخل رغيف آخر حتى لا تتسخ يداك بالزيوت، لن أســـتغرب لو كان لحواوشى عوف مزرعة خاصة بكائنات لا نعلم عنها شـــيئا، ربما الديناصورات لم تنقرض،

فأقســـم لكم أن من المســـتحيل أن يكون هذا يمت لأى نوع لحم معروف بأى صلة، ولكنه شـــهى ولذيذ، بعد دقائق حضر (حســـام) وهو يحمل تلك الصينية المعدنيـــة، وعليها بعض حبات اليوســـفى والبرتقال، تلك الصينية المعدنية المتواجدة فى كل المنازل المصرية وفى الوطن العربى، تناولتها منه وأنا أشكره بشدة:

- يلا يا (سراج) هاتلنا الشاى .....

قالها حسام وهو يطلب من سراج أن يغادر بطريقة مهذبة:

- بنعناع يا سراج بالله عليك.

قلتهـــا له وأنـــا أعطيه ذلك الكيس البلاســـتيكى المملوء بالوريقات الناتجة من مذبحة التهام الحواوشـــى، قليل الذوق نســـبيا أنا، ولكننى صديق أخيه الأكـــبر ولى بعض التقدير، أليس كذلك؟!

- عيونى يا باشا .

قالها وهو يهبط درجات السلم:

- واكيد هتحكى لى عملت إيه فى سويسرا .

الفتى يردها لى فى لحظتها، ابتسمت وانا انظر لــ(حسام)، وقبل أن أتفوه بأى كلمة، كان التساؤل من حسام نفسه:

- مالك يا (نادر)؟! فى إيه؟!

قالها «حسـام» وهو يشعر بالأسـى علىَّ، أنا نفسى أشعر بالأسـى على ما وصلت له، ولم أشعر بنفسى سوا وأنا أحكى له عن كل شيء، منذ البداية، كيف أحضر لى مصلح الكتب القديمـة وكيف قرأت فيها وما حـدث بعدها من ذهابى إلى المنوفية وهبوطنا إلى جوف الأرض ثم اتهامى بإشـعال حرائق فى القرية، وحتى الحكم بإيداعى مستشفى الأمراض العقلية.

قصصت لـه بعضا مما مر على داخل المستشـفى، وكان يسـتمع لى فى انتباه تام، وحكيت له ما حدث بعد أن خرجت من المستشفى وما حدث بعدها، إلى أن وصلت بالحديث إلى ما حدث أمام منزله،

الحقيقة اننى كنت بحاجة ماسـة إلى شخص أحكى له، فمهما وصلت قدراتى على التحمل ولكننى بحاجة إلى شخص ما أحكى له ما يحدث رحمة بعقلى الذى يوشـك أن ينفجر بكثرة الأفكار الدائرة فيه.

فى النهاية كان السؤال الإلزامى يخرج منه فى صعوبة:

- والحل يا (نادر)؟!

كان ينظر لـ بثبات منتظرا إجابتى، هزت رأسى وأنا أتمتم:

- صدقنى أنا نفسى مش عارف هعمل إيه أو اعمل إيه، حاسس انى فى بحر يا (حسام) وكل موجة أعنف من اللى قبلها، يا حسام أنا الناس بقت بتخاف تكلمنى أو حتى تسلم عليا سلام ربنا.

قلتها له وانا اشعر بتلك المرارة، مرارة الحقيقة، فالناس لها حق، أن تبتعد عن ذلك الشخص المخبول الذى يجتمع حوله المجاذيب أو لنقل المعاريض كما اعتدت عليهم، ذلك الفتى الذى أصبح خريج مستشفى الأمراض العقلية، ينظرون لـ وكأننى مصاب بمرض معدٍ، قاطعنى حسام:

- يا(نادر) أنت سيد العاقلين، ماتقولش كده على نفسك.

ابتسمت فى سخرية:

- لا يا (حسام) أنا بشهادة البلد اللى احنا فيها وبكل اللى بيحصل حواليَّ هاكون سيد المجانين.

حاول (حسام) أن يمزح معى ويخرجنى من تلك الحالة الحزينة التى تتملكنى وهو يذكرنى بأيام الثانوية العامة:

- فاكر يا (نادر) أيام مدرسة روض الفرج، فاكر يوم ماضيعت المدرسة فى الماتش النهائى لما ضاعت منك ضربة الجزاء، حسستنا أن مارادونا اللى هيشوط وفى الآخر ضيعتنا.

ابتسمت رغما عنى وأنا أتذكر تلك الأيام الجميلة، أيام كان كل ما نحمل همه فيها هو متى ينتهى اليوم الدراسى لنمارس كره القدم، ذكريات يا صديقى.

هناك أصوات عالية فى الحارة، (حسام) يوجه بعض السبات للحارة وقاطنيها، وهو ينظر من فوق السور ليشاهد ما يحدث، كنت أقف بجواره ونحن نستمع لمعركة حامية الوطيس بين رجل وزوجته:

- (حسام) سوف يتولى التعليق فى اللحظات القادمة.

- دا يا سيدى (صابر عبد الحق)، راجل غريب جدًا، خرج على المعاش وكل يوم يتخانق مع مراته نعيمة، نعيمة تفضل

تشتم فيه وهو يشتم فيها وفى الآخر بيضربها العلقة المحترمة وتنتهى المعركة وبعد نصف ساعة يدخل البلكونة ليدخن سيجارة الحشيش، هو كذلك من فترة واعتادت الحارة على هذا المسلسل.

كان يصف لے الاحداث بدقة فبعد نصف ساعة كان الرجل الذى يرتدى البيجامة البيضاء ذات الخطوط الطولية المعتادة لدى المصريين فى هذه الأيام يخرج وهو يدخن سيجارته، قال حسام وسط ضحكاته:

- مش قلتلك، سيناريو ومعروف وحفظناه.

ولكننى لم اشغل بالے بكلمات (حسام)، فقد كنت أحدق فى تلك البلكونة التى يتواجد بها جارهم صابر؛ فبجواره تماما ومن زاوية محددة كان الرجل يتحدث مع شخص ما، شخص غير موجود من الأساس.

سألت (حسام):

- هو الراجل ده مختل عقليا؟ دا بيكلم نفسه.

- لا يا (نادر) هو راجل غريب آه بس أكيد مش بيكلم نفسه دا أكيد بيكلم مراته.

ومن موقعنا فى أعلى المبنى كنا نشاهد زوجة صابر تخرج مســـرعة من باب المنزل، تبادلنا أنا وحسام النظرات فى قوة، ونحن ننظر للرجل الجالس فى البلكونة وهو ما زال يتحدث إلى شخص ما بجواره.

الرجل يتجادل بقوة مع شخص ما بجواره ..

ذلك لا شك فيه، كنا نحدق فيما يحدث بذهول،

والرجل يشــيح بيديه وقــد بدأت العصبيــة تظهر على صوته الذى تصل منه كلمــات متفرقة من حين لآخر،.... وبينمـــا هو يتحدث أخذ نفســـا مـــن لفافة التبــغ المملوءة بالحشيش وأخرجه فى قوة وهو يوجه السباب لذلك الشيء..

مع خروج الدخان ظهر تجسد ضبابى لما يتحدث معه الرجل

تجسد لشيء فى حجم القرد يجلس بجواره فى أرضية البلكونة ومن رأسه كان يبرز قرنان صغيران...

لم يدم ظهوره لأكثر من عدة ثوان حتى انقشع الدخان..

وفى هذه الثوانى انطلقت شهقة من حسام، انطلقت فى قوة وفى خوف، وقبل أن ينتهى منها كان الشيء أو الكائن، قل ما تريده ينظر لنا فى قوة، تراجعنا للخلف ونحن نلهث مما شاهدناه، أعتقد أن حسام قد فقد النطق، فهو يحاول أن يتكلم جاهدا، يحاول أن يقول شيئا ما، وأخيرًا نطق:

- دا دا دا عفريت يا (نادر)، اقسم بالله عفريت، صابر فى البلكونة بيتكلم مع عفريت، أنا شفته بعينيَّ، وقبلها الست ماشية فى الحارة وابنها كان بيبصلنا وعينيه فاضية.

كان يكرر كلماته فى ذهول، وأنا انظر له بلا أى ردة فعل، أخيرا هدأ (حسام) نسبيا، وجلس على الأرض وهو يتمتم:

- ايه إلـ بيحصل ده؟! ازاى كده؟!

ربت على كتفه وانا احاول أن اهدىء من روعه:

- استهدى بالله يا (حسام)، عادى يا صديقى، أنا عايش فى ده من فترة طويلة، انت من ساعة ولا اتنين وهتتجنن أمال أنا اعمل إيه بس.

ولم أنتهِ مـــن عبارتى، حتى هاجت الطيـــور الموجودة على سطح المنزل فوالدة حسام تقوم بتربية بعض الدجاج والطيور الأخرى، وكلهم محاطون بسياج من السلك الحديدى، كنا نسمع تلك المعركة التى تدور داخل تلك العشة كما يطلق عليها، انتفض حسام فى قوة:

- خير يا رب...

ذهـــب ناحية الدواجـــن وانا خلفه، أضـــاء الجزء الخاص بالدواجن وهو يتمتم بكلمات لم أفهم منها شـــيئا، وما أن قام بفتح باب تلك الحظيرة الصغيرة، حتى فوجئنا باندفاع رهيب من الدجاج والبط وكأنهم يهربون من الشـــيطان بنفســـه، تراجعنا فى ذهول من الاندفاع والهروب الغريب للطيور ونحن نستمع لأصوات باقى الطيور وكأن أحدًا ما يقوم بقتلهم فى قوة، (ســـراج) هرول فى قوة ومعه والدتـــه ووالده، ليعرفوا ما

الــذى يحدث فى الحظيرة، وحينما دخلوا إلـ الحظيرة كنت أنا وحسام متســمرين فى أماكننا وأمامنا كان عدد كبير من البــط والأوز والدجاج قد تم تقطيعهــم بمنتهى العنف وكأن ذئب قد قام بتقطيعهم بدون أن يلتهم منهم أى شــيء، فقط دماء وريش وجثث تم تقطيعها فى بشـــاعة.

والده (حسام) تصرخ فى عنف على مجهود السنوات الذى ضاع فى لحظات

ووالده ينظر لكل شيء غير مصدق.

(سراج) تجمد تماما، وحسام ينظر لـ وينظر لبقايا الطيور فــى ذهول، أما أنا فكنت أنظر إلـ آثـــار الدماء الموجودة على الحائط المقابل، هى ليســت آثار عشوائية من الدماء، ولكنها كانت رموز، رموز أنا أفهمها جيدا، وقد قرأت فيها منذ سويعات قليلـــة، وإذا قمت بتجميع هذه الأحرف وباللغة التى أصبحت أجيدها منذ زمن، فهى تمثل كلمات واضحة جدا بالنســـبة لي أكمل ما بدأته، ومع بكاء والدة حســـام ونظرات الجميع لـ على أننى ســبب كل ما حدث، اســتاذنت منهم أن أغادر،

استاذنت وأنا أعلم أن أصابع الاتهام تشير إلى ذلك الشخص الغريب الملعون الذى يحمل الخراب فى أى مكان يتواجد فيه..

استاذنت وكلى حزن، على ما حدث ويحدث بسببى وبسبب وجودى فى أى مكان، استاذنت وبكاء والدة حسام يقطع نياط قلبى على ضياع مجهود السنوات، أما الرسالة التى وصلتنى بالدماء على الحائط فكانت أمرا لابد من تنفيذه، أن أعود إلى المنزل، وأكمل ما بدأته من قراءة فى ذلك الكتاب، وحينما عدت إلى المنزل، وقبل أن تلمس يدى مفتاح إضاءة الغرفة، سمعت ذلك الصوت بمنتهى الوضوح يتردد فى جنبات عقلى

- لا داعى لذلك الآن يا (نادر) فأنا أفضل الحديث فى هذه الإضاءة الهادئة.

وانتفضت كل خلية فى جسدى، من جراء سماعى ذلك الصوت الذى لا يمت للبشر بأى صلة، ولا إراديا تراجعت يدى عن مفتاح الإضاءة، وانطلق ذلك الصوت عبر عقلى ليسمعه فى قوة، «أن طريقة تواصلهم معى هى عبر الرسائل العقلية أو كما هى معروفة باسم التليباثى»، ذلك أفضل بكثير

ويعطينى الأريحية فى حوارنا، وعلـــى الضوء الخافت القادم من دورة المياه كنت أرى ذلك الظل الأسود يدخل غرفة النوم:

- هيا يا (نادر) لنجلس فلدينا الكثير لنتحدث بشأنه.

وبلا مناقشــــة أخذت خطواتى وأنا أتحسس طريقى حتى جلست على حافة الســرير، جلست منتظرا للحديث العقلى الذى سوف يدور خلال لحظات قليلة، وانطلق الصوت يخترق عقلى:

- حســـنا يا (نادر)، ســوف أبدأ معك من البداية، ولتكن صبورا معى.

لم أجبه على شيء واكتفيت بأن هززت راسى فقط:

- مـــن البداية يا (نادر) ونحن نراقبك، وأرســـلنا لك من قبـــل اثنين من عناصرنـــا، كل ما حدث ســـابقا كنت أنت شخصيا ســـبب فيه بســـبب أو بآخر، لقد ضحينا باثنين من أفضل عناصرنـــا وأكثرهم خبره:

- ضحينا بهم بإرسالهم لك هنا وبشكل مباشر.

كانــت نبراته تزداد حـــدة رويدا رويدا، لــن أقاطعه الآن وسوف اتركه يكمل، وقبل أن أكمل ما أفكر به كان هو يرد علىَّ بانفعال:

- نعم من حقــى أن احتد عليك ولــو كان بيدى الأمر لدمرتك تدميرا.

- أنت إذن تستمع لافكارى أيضا؟! قلتها له متسائلا.

- نعم يا آدمى مادمـــت قادرا على التواصل العقلى معك فإن بإمكانى ســبر أغوار عقلك وذكرياتك وكل ما تفكر به، إن التواصل العقلى هو سمة أساســية نعيش بها، أما أنتم الآن فمازلتــم تعتبرونه جزءا من علــوم الخوارق فى حياتكم البائسة.

وقبل أن أفكر فى أى شيء كان يكمل فى قوة:

- ولا تحــزن من قــولى إن حياتكم بائســة؛فهى كذلك با لفعل.

هنا كان لابد أن أتدخل فى حديثه:

- وما ذنبى أنا فى كون حياة الجنس البشـــرى بائسة، أنا فقط أشـــارك مرغما في حياة لا دخـــل لي بها، ملزما بتنفيذ مخطط لا علم لي به.

واكملت بانفعال:

- إن حياتـــى أنا يا عزيزى هى مثال للبـــؤس والغرابة، أنا الذى فقد حياته بســـبب قراءته لكتاب لا يعلم عنه شيئا، أنا الذى تم وضعى بمصحة عقلية بســـبب ما اقترفته يداى، أنا الذى ابتعد عنى أصدقائى وعائلتى وكأننى طاعون يخافون منه ويهابونه..

أنا الذى أقف الآن مع كائن غير موجود ونتبادل حديثنا برســـائل عقلية، وتســـألنى عن البؤس لا يا عزيزى اســـالنى عن شـــعورى بنظرات الأصدقاء والغرباء ناحية (نادر) زهران الشـــخص المخبول القادم من غياهب المصحات النفسية....

اسألنى عن شـــعورى فى خمس ســـنوات قضيتهم كفأر تجارب لأنواع من العلاجات، اســـألنى عـــن مقدار الألم الذى يولده عقلك وأنت تحاول إقناعه أن ما عاشـــه من تجربة هى

شىء غير صحيح وأنها هلوسات، كنت مرغما على القول إنها هلوسات، لأننى ومع الأسف فى بداية دخولى المصحة العقلية أخبرتهــم الحقيقة كاملة بدون زيف أو كذب..

وكانت النتيجة هى جلســـات كهربائية، وأدويه لا حصر لهـــا حتى أنكر ما أقوله، وأنكر مـــا حدث ورأيته بأم عينى، أى بـــؤس وأى ذل نتحدث عنه يا صديقـــى أكثر من كونى لا لأعلـــم حقيقتى وهل أنا معك الآن بالأســـاس أم أنها أيضا هلوسات أعيشها؟! .....

وساد الصمت بعد حديثى لنصف دقيقة:

- هل انتهيت؟!

قالها الكائن فى هدوء.

أجبته بهدوء متبـــادل بعد أن أفرغت الشـــحنة العصبية المكبوتة بداخلى:

- نعم انتهيت.

وكان دوره فى الحديث:

- حسنا يا آدمى! لتستمع وتنصت لى جيدا وسوف أجيبك عن كل شــيء، فى البداية نحن نعلــم أن لا دخل لك فيما حدث من قــراءات غير صحيحة فى الكتــاب، ولكنك أيضا تتحمل المســئولية لكونك أقدمت على قراءة شــيء لا قبل لك به، لا نلومك علــى فعلتك، ولا تلومنا على ما نفعله، إذا كنت تتحدث عما تعرضت له من مصاعب وعن ســنوات قضيتها بين جدران مصحة عقلية، فنحن أيضا بكل عائلاتنا قــد نفينا رغما عنا هربا من مخاطــر لاقبل لنا ولا لكم بها.

ان القــدر الذى عرضك لكل ما مررت وســوف تمر به هو نفس القدر الذى جعلنا نختبيء لعقود فى بعدنا المغاير الذى نعيش فيــه الآن، أنت تعلم أننا كنا مــع قبيلة الحن ملوك هــذه الأرض، وكانت بكل ما فيها تخصنا بمفردنا، ولكن فى ليلة وضحاها أصبحنا نختبيء ونحاول أن نحافظ على ســر ومكان واختبائنا، كنا نعيش حياة رغدة وفى سعادة وفى رقى حتى انقلب كل شــيء رأســا على عقب، وبدأت حروبنا ضد الجن والشــياطين، حروب طاحنة فقدنا فيها الكثير والكثير

من أبنائنا ومن مواردنا، ولم نستسلم للانقراض، ولكن كانت الفكرة العبقرية التى اخترعهـــا أحد علمائنا بنقلنا إلى بعد آخر، بعد غير مرئى، لا يعلمه إنس ولا جن ولا أى كائن آخر، وحاولنا أن نخفى ســرنا قدر استطاعتنا، ولكن للأسف كما لكل ســـر أن ينكشف، انكشف ســـرنا للبعض، ولا نعلم كيف انتقلت معلومات عن أماكـــن تواجدنا وتواجد قبيلة الحن، ومن هنا بدأ التفكير فى ســبب انكشاف هذا اللغز.

كنا نعلم أن الشـــياطين بجنودهم وأعوانهم من البشـــر يسكنون فى باطن الأرض، وكنا نعلم بداية عصرهم الجديد الـــذى اعتقد أنك عرفـــت عنه أن اسمه عصـــر الفاحمين، وكان التحرك الأول من قـــوم الفالينز الجيش المحارب لدى قبيلة الحن، تحرك قوى بضربات خاطفة على تمركز أعوان الشيطان، تحرك يهدف إلى إبادتهم، أو على الأقل تأخر تقدمهم العلمى والحربى بذلك الشكل المفزع، وحدث الصراع وحاولنا أن نتدخل، ولكن ملكنا رفض ذلك بكل الطرق، حاولنا إقناعه أن باشتراكنا فى الحرب على هؤلاء القوم من عبدة الشيطان

سـوف نضمن عدم افتضاح سرنا للأبد، ولكنه لم يستمع لنا، فكان قرارنا بأن نسـاعد فى تلك الحـرب بجانب آخر، وهو مسـاعدتك أنت شخصيا، سوف تسـألنى: ولماذا أنا؟!وسوف تكون إجابتى لأنك أنـت نقطة التواصل الحقيقية بين كل ما حدث سـوف يحدث، انت من قرأت بشكل غريب فى ذلك الكتاب، وتسـببت بشكل مباشر فى حدوث اختلال فى الأبعاد والأزمنة بيننا وبين أرضكم وبين الفاحمين...

ألم تري اليوم بعينيك ذلك الرجل الذي كان يراقبك.. الم تري الحادثه الغريبه.الم تـري العراك الذي حدث بجوار النيل .الم تشـتم رائحة الموت كمـا قلت لصديقك ..كل رؤياك لأشـخاص غريبه هي علامه علي انك الشخص الذي يجب أن يكمل ما بـدأ .لقد بدأت تتنقل بين الأبعاد والعوالم بشـكل يهدد استقرار كل شـيء.. رؤياك المختلفه لأمور لا يراها سواك هي الدليل علي ذلك..حتي قرائتك في الكتاب في اول مره من الواضح أن كل شيء مرتب ليكون أنت المسئول عن اكمال كل شيء.

انهـم يراقبونـك الأن وقد شـاهدنا ما يحـدث معك ..ويحاولـون ضمك لهم بأي شـكل وهو ما لـن نقبله ..

لم أستطع إلا أن أقاطعه وسألته:

- هل تقصد أننى المسـئول عن كل الكوارث التى تتحدث عنهـا؟ وإذا كان كل مـا تحكيه لـ حقيقى فكيف سـوف أساعدكم وأنا حتى لا أستطيع مساعدة نفسى، إننى بالفعل عاجز عن اسـتيعاب ما تحكيه لـ، عاجز عن تصور أن كل ما يحدث وما تحكيه أنا فقط المتسبب فيه، وكأنك نسيت أننى أخذت هذا الكتاب من مصلـح صديقى وأنه أخذه من والده، وها هو الكتـاب أمامك يمكنك التأكد من أن والد مصلح قد ورثه عن أجداده وأجداد أجداده، فهل لم يقرأ فيه أحد من قبلى؟! مستحيل مستحيل أن أصدق ذلك.

قلت كل ذلك وسـاد صمت ثقيل لمدة طويلة، حتى أننى اعتقدت أنه قد غـادر، حتى جاءت رسـالته العقلية صارمة للغاية:

- هل انتهيت يـــا آدمى؟! لقد أخبرتـــك أن لا تقاطعنى فلدينا الكثـــير لنتحدث عنه .. وهـــو تحذيرى الأخير.

ابتلعت لعابى فى صوت مسموع ولم أعلق على أى مما وصل لعقلى:

- حسنا سوف أجيبك بإيجاز شديد، إذا كنت تتحدث عن الكتـــاب الأعمى، وكيف أنه وجد مع أجداد أجداد صديقك، ولم يحدث أى تاثير علينا أو عليهم فذلك بســبب أن لا أحد منهم قرأ فيه بالكيفية التى قرأت أنت بها، لقد كانوا على دراية بما يفعلون، وكان معهـــم العهود التى تحميهم وتجعلهم لا يخطئون، وكان الجن يساعدهم فى كل شىء، أما أنت .....

وصمت لبرهة ثم أكمل:

- أمـــا أنت فكنت تقرأ بشـــكل غريب، كنـــت تقرأ مابين السطور، تقرأ بشكل عشوائى، ولو كنا نعلم أن الكتاب سوف يقع فى يدك لما كنا سمحنا لذلك أن يحدث من الأســـاس، ولو كان بإمكانى أن آخذ منـــك الكتاب الآن لفعلت ولكنى لاأستطيع، ولو كنا نعلم من الأساس بوجود الكتاب مع عائلة

صديقك لفعلنا المستحيل لمحوه من الوجود، ولكننا لم نعرف أى شـــيء إلا بمجرد ما بدأت أنت بالقراءة، ســـوف أعطيك الإجابات عن الأســـئلة التى تدور فى عقلك الآن، وأتمنى أن تكون فى قمة تركيزك فلن أعيد شيئا مما سوف أحكيه لك، كما ســـبق وأخبرتك نحن نعيش فى شـــيء أقرب إلى بعد مغاير للبعد الطبيعى الذى تعيشون به الآن، وكان ذلك هو الحل الوحيد للهـــروب من حرب الإبادة التى تعرضنا لها.

مـــا حدث منذ قراءتك لأول مرة فـــى الكتاب هو نوع من فتـــح الثغرات بيننا وبينكم وبين الفاحمين؛فالكتاب وإن كان هو عبارة عن قانون ينظم حياة عباد الشـــيطان، فهو كذلك كان يعطى المســـارات للتنقل بين الثغـــرات التى تفصل بين العـــوالم وبعضها، وكذلك فتح ثغرات محـــددة ويتم ذلك بقراءات بتراتيب وأرقام وأعداد حســـب حـــركات الكواكب وحركات الأرض نفسها، لننتقل للسؤال الذى تفكر فيه الآن ما هـــو الموجود فى باطن الأرض؟!

- حســـنا يا آدمى تحت الأرض التى تعيشون عليها هناك سبع أراضٍ أخرى، يسكن الشيطان وأعوانه الطبقة الأولى منها، وأســـفلها توجد ست أراضٍ أخرى يسكن بها كائنات منها ما يمكننا رؤيته، ويمكنكم كذلـــك رؤيته، ومنهم ما نراه نحن فقط ولا تســـتطيعون أن تروه بأعينكم المجردة، بعضهم يتبع قوم الشيطان، وبعضهم موحد بالله الخالق، بعضهم من أصل أرضى مثلك ومثلى، وبعضهم من أصل فضائى واســـتوطنوا فى باطن الأرض.

هنا اندفع السؤال من عقلى بغتة:

- هل تقصد كائنات فضائية؟

أجابنى بسرعة شديدة:

- كمـــا اخبرتك منذ ثـــوان، هناك منهـــم من الفضاء واستوطنوا باطن الأرض، وهناك منهم من هو من أصل أرضى وعاشـــوا حياتهم فى جوف الأرض، ولتعلم أن باطن الأرض لا يحتوى على حمم بركانية وفـــراغ وصخور ملتهبة. إن تلك الصخور والحمم هى القشـــرة العازلة بين كل أرض وأخرى،

ولو كنت تقرأ فى دينـــك والأديان الأخرى لوجدت كل ما أقوله قد تم ذكره وبوضوح، هناك ســـبع أراضٍ تم ذكرهم، وكل أرض فيها آدم كآدمكم، وقد قال رســـولكم إنه لن تقوم الســـاعة إلا إذا اندلعت الحروب بينكم وبينهم.

كنت أســـتمع لهذا الكم من المعلومـــات وأنا غير مصدق وأحـــدق فى بلاهة حقيقية فى الظـــل الجالس أمامى، دعنى أوضح لك إجابة على سؤال أنت لم تسأله لى؟كيف نكون فى عصرنا هذا وأنا أحكى لك أن عصر الفاحمين بدأ منذ مئات الســـنين؟ الحقيقة أن علماءنا حاروا كثيرا فى معرفة إجابه ذلك الســـؤال، حتى توصل علماؤنا إلى أن اتباع الشيطان قد نجحـــوا فى اختراع ما يشـــبه نقطة اتـــزان خارجة عن أبعاد الزمان والمكان.

- حسنا ..لا تسألنى وسوف أوضح لك، الطبيعى أن العمر يمر بنا بشـــكل طبيعى وبكل المخلوقات، ولكن الزمن يمر فى كواكب أخرى بشـــكل أبطأ من الطبيعـــى، وفى كواكب أخرى يمر الزمن بوقت أســـرع من الطبيعى، مـــا فعله اتباع

الشـــيطان بايعاز منه بكل تاكيد وبعلـــم يفوق حتى علومنا وعلوم الفراعنة أنفسهم، هو أنهم أحاطوا أنفسهم بهالة غريبة مـــن الطاقة، تجعل الزمن عندهم بطيئا للغاية، واكتشـــف العلماء أنهم فى حالة تشـــبه الخلود.

الشيطان جعلها بالنسبة لأعوانه معجزة لا يقدر عليها إلا هو فقط، ولكن فى الحقيقة هو أمر علمى تماما، هم ليســـوا خالدين بالطبع، ولكن علميا الزمن عندهم يمر ببطء غريب، ويكفى أن أقول لك إن سنة كاملة على أرضكم بمثابة دقيقة على وقتهم.

- حسنا الآن دعنى أخبرك بالقادم وما سوف تفعله، أنت قرأت مرة أخرى فى الكتاب، رغم كل ما عانيته فقد قمت مرة أخرى بالقراءة فيه، ولم نعلم حتى الآن سوى أنك قرأت فيه، ونحن نكتشف ذلك بسبب الاهتزاز الشنيع فى بعدنا بسبب ما تقوم به من قراءات، واذا استمرت قراءاتك فسوف نفقد البعد الذى نعيش فيه وســـوف ينكشف سرنا إلى الأبد، ووقتها سوف يفنى كل شيء؛ فالحرب سوف تكون طاحنة ولن ينجو منها أحد.

وازدادت نبراته حدة وهو يؤكد:

- أى أحـــد يا آدمى؟!أما الآن فيجـــب عليك التوقف عن القراءة فى ذلك الكتاب، وســـوف تحمله معك فى رحلتك القادمة، رحلتى القادمة؟!

قلتها بلا تفكير.

أجابنى الشىء:

نعم استعد فرحلتك القادمة سوف تكون هى طوق النجاة لنا ولكم.

سألته مرة أخرى بتعجب

- وإلى أين سوف تكون رحلتى القادمة؟!

وبعدما صمت لبرهة أجابنى:

- رحلتـــك القادمـــة إلى عصرهـــم يا آدمـــى، إلى عصر ا لفا حمين.

الموجة الرابعة

(عصر الفاحمين - ٧٥٤ه)

إن حياتنا هنا رائعة؛نحن نأكل ونشـرب ونسـكر ونمرح ونفعل كل شيء لا نمرض ولا نشـيخ؛ كل الموانع الدنيوية انتهـت، كل الأفعـال التى كانت محرمة فـى الماضى هى أسـاس الحلال الآن، لقد أغرقنا سيدنا فى الملذات، عاشر من تطيب لك، حتى ولو كانت أختك، أمك، ابنتك، استمتع كيفما شـئت، وكنت أشـعر أن إتيان محرمات الماضى هى ما يدخل البهجة على إلهنا، الشـعائر تقـام مرة واحدة فى اليوم، تعاليم ديننا الجديد تلاقى قبول واستحسـان الجميع، حتى من نضحى بهم فداء لمولانا ونصيرنا يشعرون بالفرحة، أليسـت الحياة هنا رائعة؟!حتى بصـرى أعاده لى إلهى، أعاده لى وأصبحت أرى من جديد، الحقيقة أننى أشـعر بأنها رؤية مختلفة عما كنت أشـعر به سـابقا، ولكن الحقيقة هى أن إلهى قد أعاد لى بصرى الذى أخذه منى إلههم، ومن يوم لآخر كنـت أقرأ فى تعاليم كتابنا الجديـد، ذلك الكتاب الذى قمت بكتابتـه أيضا بإيعاز من إلهنا شـخصيا بعدما فقدنا نصف كتابنا الأول،

وعلمت من خـــلال قراءاتى أن مولانا أحاطنا بغلاف واقى ومانع عن العباد الضالين بالأعلى، ذلك الغلاف الذى يحمينا منهم إلى يوم نخرج، تعلمـــت الكثير من خبايا الكون، وخبايا الأرض التى نعيش فيها، وما تحتها، كنا نشاهد أقوام غرباء يحضرون من وقت لآخر، أقوام أشـــبه مـــا يكونون إلى تكوين الحشـــرات ولكنهم فى مثل حجم أجسادنا، يحضرون لنا المؤن والأغذيـــة، يتحدثـــون معنا مثلما يتحـــدث إلهنا من خلال الرسائل العقلية، ولكنهم يختارون أشخاصا بعينهم ليتحدثوا لهم، كنت أنا والحظرد من المقربين لهم، نتحدث معهم ومع أجناس أخرى غيرهم يشبهون الزواحف، ولكن كان ظهورهم إلينا قليل للغاية، وكنت أشـــعر ناحيتهم برهبة غريبة، مجرد رهبة من نظراتهم وتكوينهم الذى يشـــبه الســـحالى، كنت أقضى أنا والحظرد الكثـــير من الوقت، لقد أحضره لنا إلهنا من الأعلى وشـــعر فيه بالذكاء والدهـــاء فجعله من أقرب المســـاعدين له، وكان الحظرد شغوفا على الكتابة والتوثيق، كان دائم الاضطلاع والمعرفة من علمائنا، أتذكر أنه التقى مع إلهنا فى وجودى ذات مرة، وحينما كان يعرف نفسه أمام

إلهنا قال اسمه القديم وذكر فيه اسم الله، فعرف نفسه قائلا:

- خادمك يا سيدى عبد الله الحظرد.

وهنا لطمته قوة سيدنا وهو يصرخ فيه:

إن ذلك الاسم من المحرم ذكره هنا نهائيا، ومن كان يحمل هذا الاسم من العباد هنا فهو يلغيه تماما، ومن يومها وأصبح أسمه الحظرد، والتقى لمرة أو أكثر مع إلهنا من بعدها، التقى به بمفرده، وحينها شعرت بالغيرة؛فذلك الرجل بدأ يأخذ مكانة كبيرة، وربما يأتى اليوم الذى يريد فيه السيطرة وهو ما لن أسمح بحدوثه نهائيا.

- ما الذى تفعله يا حظرد؟!

قلتها له وأنا أشاهده منهمكا فى الكتابة، نظر لى بعينيه الضيقتين وأجاب:

- الحقيقة أننى كنت أتطلع فى كتابنا الأعظم الجديد، وكنت أتمتع بما فيه وأخذت أكتب أجمل ما اطلعت عليه عيناى من إعجاز حقيقى شاركت فيه مولاى أنس.

كان الحظـــرد يجيد التملق بشـــكل رائع؛ فهـــو ينادينى بمولاى، وكنت أشعر بأهميتى وقيمتى حينما ينادينى العباد بذلك الاسم، لقد ارضى غرورى ذلك اللعين بكلماته وتملقه:

-حسنا يا حظرد فلتكمل ما تفعله واستمتع بما كتبته يداى.

وغادرت غرفته وهو ينظر لـ فى مهابة، وانطلقت ضحكاتى عاليا.

- ذلك الرجل المغـــرور أنس يكرهنى، وانا اعلم ذلك منذ خطت قدماى هذا المكان وهو يكرهنـــــى، ويغار منى لذكائى الشديد، هو يعتقد أنه بمجرد أن خط بيديه صفحات الكتاب فقد أصبح إلها، ولكن الحقيقة أنه أبعد ما يكون عن ذلك، أنا الأذكى كما كنت، وكما ســـوف أكون، أنا الحظرد الذى أشار الجميع له بعبقريته فى كل شىء، سوف أقوم بتنفيذ ما خططت له الليلة، لقد اكتشفت مواقيت الانفصال الصحيحة وفتح الثغرات بعيـــدا عن هذا العالم الغبى، لقد جاريتهم فى كل شيء حتى أرضى شغفى فى اكتشاف هذا العالم الغريب، وحينما أصعد للأعلى وأحكى لهم ما يوجد هاهنا فى الأسفل

سوف أكون من الأعظمين، من يتخيل أن الشيطان بعباده يعيش فى أرض أخرى أسفل الأرض التى نعرفها، من يتخيل أن يختار الشيطان بنفسه أعوانه ويضمهم له فى هذا المكان، لقد نجحت خطتى فى البداية، حينما علمت من مخطوطة تركها أحد الرجال عن أن والده قد أخذه الشيطان إلى أرضه، وحينما بحثت عن أصل المخطوطة تأكدت أن ذلك الرجل قد فسق فسقا جعل الشيطان يضمه لأعوانه، وقد كررت ما فعله الرجل ولكن بشكل أكثر فظاعة، لقد أنكرت وجود إله، أنكرت وجود شرائع سماوية، وصرت أحكى للجميع أن الشيطان هو من يستحق حكم هذه الأرض، وحاول الكثيرون قتلى إلى أن هربت إلى الصحراء، هربت وأخذت أناديه، أنادى الشيطان أن اكون من عباده، وبعد كل ما مارسته من فجر وفسوق من قبل كنت أستحق تلبية ندائى، وها أنا هنا فى تلك الأرض الغريبة التى لا يسير فيها الوقت بمفهومه الطبيعى، تشعر هنا وكأن الحياة متوقفة من حولنا ولازلت أبحث عن سر ذلك، وبلا شك فالشيطان قد قام بشيء ما؛ فتلك الحواجز الموجودة فى نهاية تلك المدينة والتى تشبه الأضواء، والتى

حرم علينا المرور ناحيتها أو حتى الاقتراب منها، هى السـبب فى شـعورنا بأن الوقت لا يمضى، أعتقد ذلك، ولكننى مللت من كل شـيء، وأريد أن أعود إلى من عرفتهم وعرفونى، فأنا أشعر أننى انتهيت هنا من كل شيء.

وبهـذه الأوراق التى بين يدى، أعتقد أننى سـوف أبرهن للجميع على صحة ما سـوف أرويه، بعد سويعات قليلة سوف تتعامد ثقوب الأرضين السبع، بعد سويعات قليلة سوف تفتح الممرات التى اعتاد سـكان الأرض السفلى أن يمدونا فيها بكل ما نحتاجه تلك الحشرات الشبيهة بالبشر سوف تحضر لنا، وسـوف اسـتغل الفرصة، واخترق ذلك الحاجز وأصعد إلى الأعلى، سـوف أفعل ذلك مثلما فعلها ذلك الآدمى وأعوانه والفالينز من قبل، لقد هبطوا إلينا ودارت حرب سريعة انتهت باختفاء عدد منهم ومقتـل الآخرين، كانت أول مرة يحدث الاختراق، ولم يفهم أحد كيف أو لماذا حدث، ولم نعد نتحدث فيه نهائيا، فقد غضب سـيدنا المزعوم للغاية وقتها وهدد أهل الأرض بعذاب أليم، لقد حسـبت كل شيء بعمليات حسابية

دقيقة، واكتشفت أن الثغرات تفتح تلقائيا فى أوقات محددة كمـــا يمكن فتحها إجبارا فى أوقـــات أخرى من خلال تلك التعاويذ والطلاســـم التى كتبتها فى هذه الأوراق وحفظتها عن ظهر قلب، سوف أقوم بها الليلة وأغادر كل ذلك الخبال، لقـــد اكتفيت منه حقا، اكتفيت من هذه المغامرة.

- لقد حان الوقت.

قلتها لنفســـى وأنا أقف بجوار تلك القبـــاب والفواصل اللامعة المضيئة التى تحمينا من الأقوام الآخرين والموجودين فى أطراف المدينة، لقد نام الجميع وذلك هو أفضل شـــيء، ســـوف تنفتح هذه الكوة بعد قليل، كنت أتحدث مع نفســـى وأنا أشـــعر بضربات قلبى تزداد فـــى عنف، وحدث ما توقعته، فبالفعـــل كانت الكوة تنفتح وخلال ثـــوانٍ كانت الكائنات التى تســـكن فى بواطن الأرض تدخل حاملة لنا المؤن، تواريت عن أنظارهم وأنا أمسك بيدى الوريقات التى سوف أقرأ منها تعويذة الخروج إلى أعلى فـــى أمان، وبهمس كنت أقرأها:

بسم من أراد أن يمر من خلاله كل شىء، بسم من يملك الأعلى والأســفل، بسمك الذى نجللك به، افتح لنا الأعالے واجمع مابين أراضيك وسمائك، انت الذى تعلم ونحن لك ساجدون.

- سعيا سعيا نهات ميهوك مخياح يافيث التوع، سعيا سعيا نهات ميهوك مخياح يافيث التواع براهمك براهمك...

كنت أكرر التعاويذ وأنا أرتعد من الخوف فى أن يكتشف أحد الحراس أمرى، ولكن كل شىء حدث كما تم التخطيط له، الكائنات تنقل المؤن بهدوء وبحركات متثاقلة كعاداتهم.

وفجأة ســقط الخنجر المربوط على خصرى، ومعه ألتفت لے ذلك الكائن وهو يحمــل صندوق المؤن، لقد كان محرما علــى العامة التواجد هنا، وأنا تواجــدت وافتضح أمرى، ولم يعد هناك مجــال للتراجع، وبقوة تركــت مكانى والتقطت الخنجر ونحرت رقبة ذلك الكائن، ولم أنتظر ليســقط على الأرض، فقط سمعت صوت تحطم ذلك الصندوق الزجاجى فى عنف، خرجت من ذلك الحاجــز الضوئى وأنا ألهث، هو

ذلـــك ممر الصعود الذى يتألق بألوان زاهية، أطرافه تشـــبه موج البحر ويضيء ويتألق بشـــدة، ولم أتوانَ أن أرمى نفســـى من خلاله.

تلك الأضواء، ذلك الشعور الغريب براحة تغمر جسدك، تلـــك الطمأنينة التى تفصل عالم الأموات عن عالم الأحياء، لحظات أم ســـاعات أم دهور، لم ولن أســـتطيع أن أصف ذلك الشعور الغريب الذى يختلجنى، كنت وسط شلال غريب من الأضواء، وفى لحظة حدث الارتطام، ارتطم جسدى فى عنف بتلك الأرض الرملية، كنت أشاهد المكان حولى فقد سقطت فى كهف، ومن أعلاه كانت تلك الدائرة التى تشـــع بألوان زاهية، أشعر بالألم فى كل خلية من جسدى النحيل، ولكننى لن أنتظر هنا، فالخوف كل الخوف أن يتبعنى حراس الأسفل، وانطلقت ناحية بوابة ذلك الكهف راكضا، وحدث ما توقعته:

فمن خلفى سمعت أصوات ارتطامـــــات بأرض الكهف، من المؤكد انهم الحراس، نهايتى قد قاربت، ضوء الشـــمس يغمر الصحراء الممتدة أمامى، لن ألتفت خلفى، ألهث فى قوة، وكأن

شياطين العالم تطاردنى، وربما تكون هذه مقولة حقيقية فى هذا الموقــف، وربما تكون أيضا هذه نهايتى، أركض وأنا أبحث عن أى شىء أتوارى خلفه، ولكنها صحراء ممتدة إلى ما لا نهاية.

أصــوات رهيبة تأتــى من خلفى، وقــت المواجهة قد حان، والتفت لأجد عددا من حراس الأسفل واقفين أمامى يشهرون ســيوفهم المضيئة اللامعة التى لم أرَ مثلها من قبل، أخرجت خنجرى الصغير ونظرت له مبتســما، فماذا سيفعل مع هذه السيوف الرهيبة؟!

ولكن لا أجد ضررا من المحاولة، وبدأت المعركة بينى وبين هؤلاء الحراس هم ليســوا بشرا وليســوا أى شيء من الممكن وصفه، هم خدام الشــيطان، يكفى ذلك الضربات تنهال علىَّ فى قــوة وأنا أحــاول أن أراوغ تارة، وأن أتفادى ضربة ســيف متوهجة تارة أخرى، كل ما أريده هو فقط النذر اليســير من الوقت لأخرج الأوراق التى أحملها، فمن خلالها أســتطيع أن اختفــى عن اعينهم، تبا لـ لقد كان بإمكانى فعل ذلك من البداية، وياليتنى فعلت، وفى غمار ما يحدث كان الغوث قد أتى

تلك القافلــة ظهرت فجأة من قلــب الصحراء، والتفت الحــراس إلى القافلة التى ظهرت مــن العدم، ربما لم نلتفت لاقترابها بســبب النــزال الدائر بيننا، كان رجــال القافلة يشــاهدون ما يحدث فــى رعب حقيقــى، وانفصل جزء من الحراس ناحية القافلة ..للقضاء على من فيها بالطبع فمن المستحيل كشــف السر الأعظم.

وبقيــت أنا وذلــك الكائن وجهــا لوجه، تلــك النفثات الشــيطانية تخرج منــه ملتهبة اكثر من لهيــب الصحراء ذاتهــا، وبعينيه التى ينطلق منها الشــرر كان يحدق بى فى غل حقيقى.

وضربــة تلو ضربة كنت أشــعر بنهايتى تقترب بشــدة، أصوات صرخات رجال ونساء القبيلة تزلزل الصحراء فى قوة، وصمتــت الصرخات فجأة إعلانا بانتهــاء المعركة مع افراد القبيلة الأبريــاء، بمقتلهم بالطبع:

- نهايتى أوشكت تماما وذلك الشيء يأبى أن ينهى النزال.

وبحركة خاطفة منه ومع شـــعورى بالإجهاد التام ارتمى جســـدى النحيل على الأرض، ورفع ذلك الكائن سيفه عاليا، ســـوف تكون نهايتى التـــى لم أتخيلها أغمضـــت عينى وأنا أتخيـــل الضربة المميتـــة، وفجأة دوى ذلـــك الصوت الرهيب صـــوت صادر من ذلك الكهف، وقبل أن يلمس ســـيف الكائن رقبتى، توقف كل شـــىء، وكأنه قد تلقى إشارة بأن يتوقف.

نظرت للكائنات وجدتهم يهرولون ناحية الكهف فى سرعة، أدركت مـــا حدث الآن ....فذلك الصوت الرهيب الاشـــبه بالفحيح كان اشارة حازمة بعودة الكائنات قبل اغلاق الثغرة

لقـــد نفـــذوا ما طلـــب منهم بـــدون تفكـــير خوفا على حياتهـــم..... ورحمـــة بحياتـــى أنـــا ......

نهضت من مكانـــى وانا انفض عنى ذلك الكم الهائل من الاتربة

ونظرت للقافلـــة التى لم يتبقى منها ســـوى بعض الأبل والا حصنة

ووجدت كل افرادها غارقون فى دمائهم ومقطعون اشلائا ......

وثبت فوق احد الاحصنة بعدما تزودت بالمياه والطعام ... وانا اسير ناحية اللا شـــيء فلا اعلم اين أنا ولا إلى اى اتجاه اسير ....

معى طعام ومياه تكفينى وتزيد ....

تحسست الأوراق الملفوفه بعناية على ظهرى ...وابتسمت وانا اتخيل ما سوف أفعله بها ....والشهرة التى سوف انالها بسبب ما كتبته من أسرار .

ربما سوف اصبح ملك لتلك الأرض البائسة ...... يوما ما .

المهم اننى خرجت عن دائرة الشيطان ......

اليوم لى والغد لى ....وبعد غد ليكن ما يكون ....

يوما ما سوف يخلد أســـم الحظرد ..وسوف أنال الشهرة التى حلمت بها ... وأحكى تجاربى الرهيبة التى عشتها ....

وسوف ينادينى العباد بلقب مولانا وسيدنا الحظرد ......

وأنا أستحقه وعن جدارة ...اليس كذلك .....

وأتسعت ابتســـامتى وانا اشاهد تلك الجزيرة على مرمى بصرى بعد ثلاثة ايام بلياليهم ....

اتسعت وانا اتخيل الثراء والنعيم الذى سوف احيا فيه ....

وفى باطن الأرض كانـــت الثورة قائمة على ذلك الرجل الذى عصى مولانا ....

ذلك الرجل هو الاول من نوعه الذى يخون عهد مولانا

لقد ضحى الهنا بعشـــرة رجال وعشرة نساء كعقاب على الذنب الذى لم يقترفوه ....

اما أنا أنس المعصوم خادم سيدى والمؤتمن على اسراره فقد كنت فى قراره نفسى سعيدا بهروب ذلك الوغد

لقد كان على مشـــارف أن يصبح زعيمـــا .....والحمد للشيطان انه قد فر هاربا ولينال العذاب من مولانا أبد الدهر ...

القاهرة

١٩٨٠

الرابعة صباحا ...

كنت أجلـــس محدقا فى ذلك الظـــل بعدما انتهى من رسالته لى

وسالته فى جزع

هل تقول اننى سوف اهبط إلى الاسفل

الى ارض الشيطان ......

اجابنى الكائن بحزم ..

نعم سوف تهبط اليها ..لتصلح خطأك ....

تســائلت مقاطعا ....وكيف سوف اصلح خطأى ولماذا لا اقوم بحرق هذا الكتاب الموجود معى لينتهى كل شـــيء ...

اجابنى الكائن ..

يا ليت الامر بهذه البساطة ....

فمن الاســـاس هذا الكتاب لا يحرق ولا تاكله النيران فهو من صنع النيران من الأساس .....

وحتـــى لـــو تم تدمير هذا الجزء فالمشـــكلة ســـوف تظل باقية...؟؟

سألته مقاطعا مرة اخرى ...

هل تقول هذا الجزء .....

اجابنى ...

نعم فقد اكتشـــف علمائنا ورجالنـــا أن هناك جزء اخر مـــن الكتاب موجود فـــى جوف الأرض وتحديـــدا فى قبضة رجـــال واعوان الشـــيطان وحينما يكتمل الجـــزءان ..حينها فقـــط من الممكـــن قراءة تعويـــذة محددة ســـوف نلقن لك نصفهـــا الذى نعلمه .....ووقتها ســـوف تنغلـــق الفجوات التـــى حدثت فـــى عالمنا وعالمكـــم وعالم الشـــياطين .....

سوف تنغلق إلى الابد ....

ولماذا أنا ....

صرخت بهذا بصوتى الحقيقى هذه المرة .....

لمــاذا أنا من يجب عليه فعل كل ذلك ...ما الذنب الذى اقترفته لكى اهبط إلى ارض الشــيطان بنفسى ... وحتى لو نزلت فكيف سوف يحدث ذلك وكيف سوف انجو من الاساس ....رحمتك يا الهى ....

صمت الكائن لبرهة واخيرا اجابنى ....

انت من يجب عليه فعل كل ذلك ...

فأنــت من اصبــح يمتلك حرية التنقل بــدون ضرر بين العوالم الســفلية ..

كنت انظر له فى بلاهة حقيقية غير مصدق لما يحكيه ...

انا (نادر) زهران اتعس اهل الأرض من وجهة نظرى اصبح لدى مقدرة لا يمتلكها احدا غيرى ....

وفائدة هذه المقدرة الوحيدة هى الهبوط إلى الدرك الاسفل ومواجهة الشياطين والكائنات الغريبة .....

أى عتهٍ ذلك الذى أمر به الآن .....لقد كان لهم الحق أن يضعونى فى مستشـــفى الأمراض العقلية ولا الومهم على ذلك ....

قاطعنى بعصبية هائلة هذه المرة قائلا ..

أصمت فلم يعد ليدنا مزيد من الوقت للشرح

وأســـتمع إلى ما ســـوف اخبرك به الآن فربما يكون طوق النجاة لك ...

ما تمتلكـــه الآن هو النصف من الكتاب الأعمى ....تلك اليد الغريبة المحفورة على واجهة الكتاب توضع على النصف الثانى الموجود فى غرفة التعبد الموجودة عند عباد الشـــيطان الفاحمين .....

سوف تجد فى البهو الكبير لديهم فى نهاية القاعة النصف الأخر من هذا الكتاب

وحينما تصل اليه سوف تضع كلا الجزئين ليكملا بعضهما ....لا تنسى أن ذلك هو أســـاس مهمتك ....بعدما تقوم

بذلك ســوف تذهب إلى الصفحة الموجود بها تلك الكتابات وتذكرها جيدا .....

فصــل الصواعــد والهوابط بــين مخلوقات مــا قبل أدم ومخلوقات الجـــوف ...

وتقــرأ النصــف الموجود هنــا وتكمله بالنصــف الموجود هناك....وبعدها سوف تعود من مكان ما جئت حاملا كلا الجزئين معــك ......ولكن هناك تحذيــر هام جدا ...

كل مــا لديك مــن وقت هو عشــرون دقيقــة بوقتكم الارضى......يجب أن تتــم مهمتك فى غضونهم ...وقبل أن تســالنى لماذا عشرون دقيقة فقط ...فتلك هى المدة التى يمكنك فيها العودة مع تعامد ثقوب الجوف والارض والسماء

امــا اذا مرت تلــك الدقائــق ..... وصمــت قليلا ثم أكمل...لا اعتقد انك تريد منى أن اشــرح لك ما ســوف يحــدث حينها ..

وأكمل

كلا منا قدم وسوف يقدم تضحيات وهاهو دورك لتضحى من اجل الجميع ....

وساد صمت ثقيل على الغرفة .....

صمت لم يقطعه سوى صوت لهاثى ...

فمـــا سمعتـــه كان يفوق قدراتـــى البشـــرية على تلقى المعلومـــات وتصديقهـــا ....

أستعد يا (نادر) ...فدورك سوف يحين بعد قليل ....

أجبته بتساؤل ..هل لى أن اسالك اخر أسألتى ؟؟؟

اجابنى فى هدوء ...لك ذلك ....

ســـؤالى الاول كيف توصلتم إلى كل هذه المعلومات عما يحدث فى باطن الأرض وعن مـــا يحتويه الكتاب الاعمى

وســـؤالى الثانى هو كيف اســـتطعت أن تجلس معى كل هذه المـــدة على الرغم من أن ســـابقيك ممن تحدثت معهم كان الحديث لا يتجاوز العشر دقائق وتنتهى حياتهم بعدها ......

سألنى الكائن ....هل هذه كل أسئلتك ...

أجبته ..نعم ذلك كل شيء

حسـنا لقد توصلنـا إلى هذه المعلومات مـن خلال افراد يتبعونا يعيشـون فى باطن الأرض ويوهمـون الجميع انهم يتبعون الشيطان ...كما تقولون بلغتكم هم جنودنا هناك أو لاكون اكثر دقة جواسيسـنا وفى نفس الوقت هم من سوف يسـاعدونك على قراءة التعاويذ المطلوبة ويسهلون عليك مهمتك ....

اما ردى على سؤالك الثانى فهو أن علمائنا قد اكتشفوا أن بسـبب قرائتك للمرة الثانية فقد زاد الاتساع فى الفجوة بين عالمينا... فأصبح بالامكان أن نسـتمر هنا لفترات اطول ممـا اعتدنا... ولكن لا تقلق ... فقد شـارف وقتى بالفعل على النفاذ ولن اضحى بنفسى مثلما فعل من سبقونى وانما سوف اعود إلى موطنى ....

ولأول مرة اشـعر بالعطف فى صوته وهو ينقل لى رسالته العقلية .

انا اعلـــم أن المهمة ثقيلة على كاهلك يا أدمى ...ولكن كلا منا وله مهمته وصدقنى لو ازداد اتســـاع الفجوة وازيلت الحواجـــز بين العوالم أســـفلها وعاليها فســـوف تكون نهاية ذلك الكوكـــب وازالة جميع الحضارات مـــن عليه ..مثلما حـــدث ذلك مرات عديدة من قبل منذ ملايين الســـنين على حساباتكم ....

فســـوف تكون الحرب ضروس ولن ينجوا احد ...صدقنى لن ينجوا احد .....

هل أنت مستعد ...أكتسى صوته بالحزم وهو يقولها ...

وســـألته فى ذهول مستعدا لماذا الن تكون تلك المهمة بعد فترة من الآن ....؟؟؟؟

وكان رده قاطعا ..كلا

سوف تتعامد الثقوب بعد قليل .....

وحينها سوف تقرأ تعويذة الهبوط والاختراق .....

نظرت له فى بلاهة غير مصدق .....

هيا يا ادمى ....مهمتك على وشك البداية ....

وقبل أن افكر ...

كان يتلوا على التعويذة لأكررها من خلفه ......

كنت اكرر كل حرف يقوله ....بنفس الترتيب ..

وفى لحظة تغير كل شيء

تغيرت الغرفة ليحل محلها ذلك النفق المضيء .....

الوان زاهية ..

راحة غريبة تغمر خلاياك ..شـــعور بالهدوء وكان خلايا جسدك يتم تفكيكها بهدوء حقيقى ولم يستمر ذلك الشعور كثيرا

فبعد لحظـــات كنت ارتطم بأرض مغطاة ...بما يشـــبه اللدائن التـــى نعرفها ....

كنت أشعر بدوار رهيب ورغبة جامحة فى اغماءه .....

فارتكنت علـــى الحائط بجـــوارى ....وفى لحظة وجدت شخصان يرتديان ملابس غريبة يوجهون سيوفهم نحوى ...

لم انبس ببنت شفة ونظرت لهم فى وهن حقيقى ...وقبل أن اتحدث ....سبقنى احدهم

مرحبا بك يا أدمى ....نحن فى انتظارك ..هل احضرت معك النصف الاخر من الكتاب ..

اجبتهم بايمائة من رأســـى وانا اشير إلى اننى اضعه اسفل ملابسى وملاصق لصدرى تماما ...والشيء الغريب هو اننى اشـــعر بسخونة قادمة من الكتاب الموضوع على صدرى ....

هتف احدهم وهو يقذف لى بملابس غريبة تشـــبه ملابس الكهنة فى العصور الغابرة ....

ارتدى ذلك فوق ملابسك ولا تضيع الوقت ....

ارتديت تلك الملابس فى سرعة منفذا ما طلبوه منى ....

وتحركا فى هدوء طالبين منى أن اتبعهم

كانا يســـيران امامى فى ذلك البهو المضيء ..بهو على طراز متقدم للغاية ....

لقد اختلف الوضع بين المرة السابقة التى هبطت فيها إلى الاسفل عما هو الآن ....

كنت اتحدث مع نفسى وانا اسير وراء الحراس وأتأمل التقدم المبهر امامى وبعد حوالى الخمس دقائق من الســـير المتواصل انعطف بى الرجلان ناحية بهو صخرى آخر هو النقيض تماما لما كنا نسير فيه منذ قليل، فهذا البهو الصخرى كان مضاء بمشاعل عادية للغاية، من الواضح أن الفوارق الطبقية منتشرة حتى تحت الأرض؟!كنت أشعر بشيء دافيء بجوار أذنى، وضعت يدى عليه ونظرت فيها لأجد الدماء تسيل من أذنى، تراجعت من المنظـــر للخلف فى حدة حتى أن احد الحراس الموجودين معى قد التفـــت لى ونظر إلى الدماء التى تغرق كتفى ....

وهو يربت على فى هدوء ....

لا تقلـــق ذلك أمر طبيعى نتيجة اختراقك باطن الأرض بالفجوات الطبيعية ...لا تقلق .....

اخرج من جيبه شــيء يشـبه البخاخ وضعــه على اذنى ...وشــعرت بطنين قــوى ... ثم انتهى كل شــيء .....

هيا بنا لا يوجد لدينا وقت لنضيعه ....

نظر لى احدهم وهو يشــير إلى القاعة ...ســوف نقربك للقاعة وســوف تقترب قدر الامكان مــن الضريح والكتاب

وحينها ســوف نصنع جلبة فى المكان .....حينما تستمع لهذه الاصوات عليــك أن تنطلق ..... للكتاب وتنفذ ما تم اخبارك به ......

وقبل أن اشــير له بإيماءة من رأســى وجدنــا امامنا احد الحراس ويبــدو انه اكبر رتبة ممــن اتبعهم ....

اوقفهم ذلك الرجل الضخم الجثة وهو يســالهم عن سر سيرى ورائهم....

اجابه احد الحراس .... اننى كنت اسالهم عن شيء ضاع منى وانهم دلونى عليه ....

أخـــذ الرجل يتفحص فى ملامحـــى للحظات ......وانا اشـــعر بقلبى يكاد يقفز من مكانـــه طالبا النجدة .....

وفى النهاية أمرهم بالانصراف ......وأمرنى أن اعود من مكان ما جئت .....

فأجبته ....أمرك يا سيدى ......

لم اكن اســـتطيع أن ارد عليه بغير ذلك ... واعتقد اننى قد وفقت فى اجابتى ......

انصرف الرجل وعاد لى الحارسان ......

هل أنت جاهز ....

هززت رأســـى بالنفى فى ســـرعة فحدقوا بـــى فى ذهول فحركت رأســـى للاعلـــى والاســـفل ..اننى جاهز

هيا .. قالوها ســـويا ....وهم يشـــيرون لى إلى القاعة الامامية ....

سوف ننتظر هنا وانت أبدأ مهمتك فور سماعك الجلبة ...

تقدمت وانا ارتعد ....

نساء عرايا

ورجال عرايا يفترشـــون الأرض منهم من يمارس الجنس ومنهـــم من تضحك ضحكات ماجنـــة وهى تنظر لـ ...

كل ذلك فى المعبد ....انها حقا عبادة للشيطان .....

كان المنظر مقززا ومرعبا فى نفس الوقت ....

غطيت رأسى بشكل جيد وانا احاول أن اقترب قدر الامكان من المذبح ......

لا وجود لحرس هنا فقط رجلان يحملان السيوف بجانبهم ..فلا وجود للجرائم من الاساس ....ولماذا تحدث الجرائم أن كانت كل الموبقات مسموح بها ...

ومن مخبول سواى سوف يحاول سرقة كتابهم الأعظم ...

جلســـت على مقربة من المذبح المخصب بدماء اعتقد انها مازالت طازجـــة ....والدليل انها مازالت تقطر من يد تلك السيدة الممدة عليه .....

لقد كان هناك طقس منذ لحظات فى هذا المكان

وأحمد الله اننى لم اكن هنا وقتها ..

كنت اتامل كل مـــا يحدث حولے بهدوء من غير أن ارفع غطاء رأســـى حتى لا يتم كشفى امامهم .....

حينما سمعـــت الجلبة التى اتفقت عليهـــا مع اصدقائنا الحراس ...

وكما كان مخططا له تماما ....

انطلقت الصرخات من المتواجدين .....واسرع الحارسان المتواجدان بجوار الكتاب لاستكشاف ما يحدث .....

وهرولت راكضا ناحية الكتاب الموضوع فيما يشبه الصندوق الزجاجى .....

حاولت نزع الزجاج من أعلى الصندوق ولكنه أبى أن ينزع ...

فلم يكن امامى سوى أن اهشم الصندوق بأكمله ...

اصوات الصرخات تتعالى من الخارج وفيما يبدو أن معركة حامية تحدث .....

تلفت حولى لاجد اى شـــيء يســـاعدنى على تهشيم ذلك الصندوق فلم اجد ســـوى ذلك السيف الموضوع بجوار المذبح وهو يقطر دما ....

لا وقت للمشاعر الآن فحياتى وحياة الجميع على المحك ...

رفعت السيف عاليا وهويت به على الزجاج الذى تهشم فى دوى رهيب .....

ومن طيات ملابســـى اخرجت الكتـــاب ....ووضعته فوق النصف الـــذى اخرجته من الصنـــدوق ووضعتهم ارضا ...

بالفعل تناسق النصفان وأصبحا شيئا واحدا ......

فتحت الكتاب ابحث عن الفصل المراد قرائته ....

دقات قلبى ترتفع

اصوات الصرخات تزداد اكثر واكثر فى الخارج ..ترى ما الذى يحدث هناك ....

كنت ابحث عن فصل الصواعد والهوابط، تبا ؟!لا أستطيع ايجاد ذلك الفصل ، ولوهله لمع فى عقلى تساؤل هام للغاية: هل يعرف المتواجدون هنا أن هذا الكتاب الذى يتعبدون به هو مجرد نصف كتاب فقط ام انهم لا يتعبدون من الأساس؟!

وإن كان كذلك فكيف وصل إلى نصفه الآخر؟! ولماذا لما يحارب أهل هـــذا المكان من أجل الحصول على باقى كتابهم المقـــدس؟! لم أدع عقلى يبحث عن الإجابـــة، فقد وجدت ما أبحث عنه، فصل الصواعد والهوابط، ورحت أتلو المكتوب كما هو بلا زياده أو نقصان، كنت اقرأ بســـرعة بالغة، وأنا أتلفت حولى، خوفا من أن يباغتنى أحد الحراس، وقبل أن أنهى أخر جملة فـــى الصفحة الموجودة أمامى حدث مـــا توقعته، أحد الحراس أتى نحوى مســـرعا، وهو يصرخ فىَّ:

- توقف ..ما الذى تفعله؟!

ولم أستطع أن أقول أى شيئا، فقط أكملت الجملة المتبقية فى الصفحة بعد أن وقعت عينى عليها:

«بأمرك أنت نعزلهم طباقا، بأمرك أنت نباعد بينهم كما باعدت بين الأتقياء وجنتهم الزائفة».

وقبل أن يصل الحــارس إلّي ارتج المكان بأكمله فى عنف، وكان ألـف زلزال يضربه فى وقــت واحد .ربما هو جزء من المخطــط المتفق عليــه، وتراجع الحارس فـى رعب حقيقى والصخور تنهال عليه، ولم أنظر خلفى وأنا أطلق ساقى للريح، واتفادي الصخــور التي تنهال من كل اتجــاه مغادرا ذلك البهو، وســط حالة الهرج والمرج التى تحدث، لم يكن الرجلان اللذان اســتقبلانى بمفردهما، بل كان أكثر من خمســين رجلا فى حرب حقيقية مع مئات من اتباع الشيطان، لم ألتفت إلى أى شــيء وأنا أنظر للمذبحة التى تجرى أحداثها أمامى، صراخ وصخور تتهاوى، دماء تتناثر، كل ذلك يدور حولى وأنا اركض محاولا العثور على المخرج الذى اتيت منه، خرجت من البهــو لأجد البهو الآخر الذى دخلت منه.

هل هو أول منفذ إلى يمينى أم الآخر تبا لى لقد نسيت؟!لم أتردد كثيرا ودخلت إلى المنفذ الثانى، أصوات أقدام تلاحقنى، أعدو وكأن شياطين العالم بأثرها تلاحقنى!! البوابة أمامى، خطوات تفصلنى عنها،

- توقف؟!

صـــدر الصوت الرهيب من خلفى، صوت غير بشـــرى على الإطلاق، وحينما اســـتدرت ناحية الصوت كنت أشاهد اكثر المخلوقات رعبا وقبحا، ذلك الشيء الذى يشبه البشر، باعينه المشـــقوقة طوليا، وجســـده الهائل الحجم وعضلاته الرهيبة، وأســـنانه البارزة كأنياب النمور ممسكا فى يده بسيف لامع غريب، ويقترب منى فى غل وشراســـة حقيقية.

وعلى الرغم من أن الهوة المضيئة تبعد عنى بمسافة قليلة للغاية يمكننى عبورها ببضع خطوات، ولكننى تســـمرت، وأى شـــخص غيرى كان سيفعل نفس الشـــيء أمام ذلك الكيان المفزع القادم من قلب الجحيم، ومع اقترابه منى أدركت أنها النهاية، وأغمضت عينى فى قوة ورعب.

وفجأة سمعت ذلك الخوار الرهيب، وحينما فتحت عينى، كنت أشـــاهد ذلك الكيان المفزع أمامى والدماء تتناثر من رقبته دماء زرقاء قاتمة، ومن خلفه أتانى صوت أحد الحراس:

- اذهب يا آدمى، اذهب قبل أن تبقى هنا للأبد.

ولم أتوانَ عن تنفيذ طلبه، فقط شـــكرته بإيماءة من رأسى ودخلت قاذفا بجســـدى فى تلك الهوة المضيئة، وأنا أســـتمع لصوت صفير عال للغاية يصـــم الآذان ينطلق من خلفى.

النهاية

الأضواء المبهرة، الشعور الغريب، الراحة النفسية، ذلك المزيج المبهج، المريح للنفس، نهاية الضوء أمامى، أشعر بها واضحة.

الارتطام...

كان الارتطام أقل حدة من سابقتها، ولكن مع خروجى من ذلك النفق المضىء سمعت تلك الفرقعة المكتومة تتبعنى، لقد ارتطمت بباب خشبى، حسنا هو باب البلكونة، ما سر تلك الأضواء التى تصدر من داخل الغرفة، كنت أنظر من بين ضلفتى الباب الخشبى العتيق لأشاهد ما يحدث:

سيدة شمطاء عجوز تجلس وبجوارها يجلس رجل متهالك، بجوارهم فتاة فى العشرينات من عمرها، وأمامهم

رجــل ذو لحية طويلة، يرتدى عددا هائلا من الســبح والخرز بألوانه، والجميــع يرتعد ويقرأ القرآن، وينظرون فى رعب إلى بـــاب البلكونة، وأنا أنظر لهم وصوت الشــيخ يتعالى ويتعالى، وتلك الســيدة العجوز تبكى فى قوة وهــى تحتضن الرجل الجالــس بجوارها والفتاة تحــدق للبلكونة فى رعب.

تحركت من مكانى وأنا أشــعر بوهن شــديد، وانطلقت الصرخــات عاليا صرخات، الســيدة والفتاة وصرخات الرجل المشــعوذ غريب المظهر، وما أن هممــت بفتح ضلفة البلكونة، حتى فقدت الســيدة وعيها وصرخت الفتاة فى رعب حقيقى وانطلق الرجل المشــعوذ هاربا وهو يردد:

- أعوذ بالله، أعوذ بالله سامحنى يارب.

أما الرجل الجالس بجوار السيدة فكان يحدق فىَّ فى ذهول حقيقى:

- انتوا مين وبتعملوا إيه فى شقتى؟!

قلتها للجميع وأنـــا اتفحص وجوههم، وانطلقت صرخات الفتاة فى رعب:

- دى روح خالوا (نادر)!والله روحوا.

فى ذهول تحدثت وأنا اتفحص وجوههم

- روح إيه وزفت إيه؟! وخالوا (نادر) إيه انتوا مين؟!

تحدثت العجوز الشمطاء أخيرا بعد أن أفاقت من إغماءتها:

- مستحيل أنت (نادر)!!

وحينما ركزت قليلا فـــى وجهها تلقيت الصدمة، إنها...
إنها جيهان أختى، مســـتحيل لقد قفز الزمن بها:

- وأنت عادل زوج أختى؟

- وانتِ...

قاطعتنى الفتاة:

- وأنا إسراء يا خالو...

ولم أتمالك نفسى من الصدمة، وارتميت على أقرب مقعد لى:

- مهلا مهلا!! فى أى عام نحن؟!

أجابتنى من تقول انها بنت اختى:

- نحن سنة ٢٠٠٠ يا خالو ....

واتسعت عيناى حتى كادت تغادر محجريهما:

- ماذا؟!

- أى عبث هذا الذى نتحدث عنه هنا؟

أجابت العجوز الشمطاء التى تقول إنها أختى:

- لقد اختفيت منذ عشـــرين عاما يا (نادر)، اختفيت فجأة وبلا أدنى أثر، وبحثنـــا عنك فى كل مكان ولكن لم نجدك، وحضرنا إلى هنا منذ عشرة أعوام، ومنذ حوالى أسبوع أصبحنا نســـمع أصواتًا غريبة فى هذه الغرفة ومن البلكونة، وأحضرنا الشـــيوخ، ومنهم من قال إن المكان ملبوس بالجن، ومنهم من كان يهـــرب بعد الجلوس بضع دقائق، حتى حضرت أنت.هل

أنـــت حقا أخي (نادر)؟ كيف لم يمر بك العمر؟! فأنت كما أنت!وكأنك قد غادرت منذ لحظات وليس منذ عشرون عاما، أين كنت وكيف اختفيت وكيف عدت؟!

لم أجبها وأنا أنظر إلى الساعة الغريبة المعلقة على الحائط والتى تشير إلى يوم الخامس عشر من مارس سنة ٢٠٠٠،

- لقد مرت علىَّ العشـــرون دقيقة فى الأســـفل كعشرين عامـــا، وها أنا ذا قد عدت وقد تقدم الســـن بكل من عرفتهم، مـــات من مات وحيى من حيا، لقـــد دفعت ثمن باهظ للغاية، جراء مـــا اقترفته يداى وفضولى.

نفث الســـيد حسام حســـين دخان لفافة تبغه فى قوة وهو ينظر لى ويضعها فى المطفأة التى امتلأت ببقايا لفافات التبغ:

- حســـنا يا اســـتاذ (نادر) لقد حكيت لنا كل شىء، نعم هـــى رواية جميلـــة ولكنها أقرب ما تكـــون إلى روايات الخيال العلمى التى أقوم بنشرها هنا فى الدار، والشيء الغريب انك تجزم على انك قد خضت هذه التجربة بنفسك، وذلك ما يحيرنى للغاية!

أجبته بهدوء:

- الأمر متروك لك يا سـيد حسام، يمكنك قبول الرواية التى قصصتها عليك وتقوم بنشرها فى داركم المحترمة دار نون ويمكنك أن ترفض ذلك ووقتها سوف أتوجه لدار اخرى بالطبع.

أخذ السـيد حسـام يفكر لبرهة من الوقـت وفى النهاية سألنى :

- هل لديك أى دليل على هذه الرواية يا سيد (نادر)؟! أى دليل؟! وأعدك ألا أكشفه لأحد، هو فقط فضولى الشخصى لمعرفة حقيقة ما حدث معك.

أجبته:

- صدقنى يا سـيد حسـام الدليل هو ما حكيته لك بكل تفاصيلـه، وبكل ما حدث معى.

سألنى فى سرعة:

وأين ذلك الكتاب الذى خرجت به من جوف الأرض؟!

أجبته:

- لقد ذهب إلى مكانه الطبيعى يا سيد حسام، صدقنى لم يعد له وجود.

سرح السيد حسام رئيس أحد أشهر دور النشر فى مصر لبرهة من الوقت وسألنى:

- تعتقد فى رأيك لو وافقت على نشر هذه الرواية بأحداثها الغريبة سوف تنجح؟! وما هو الاسم المقترح منك لنشرها من الأساس؟

ابتسمت فى هدوء وأنا أجيبه:

- نجاحها من عدمه يتوقف على طريقة صياغتها وتسويقها، وأنا أثق أنها سوف تلقى أعجاب القراء، خصوصا مع شهرة داركم بين دور النشر فى المنطقة العربية بأسرها.

ابتسم الرجل وانا اكمل حديثى معه:

- أما الاســم المقترح، فمن الممكن أن يكون الرحلة الملعونة مثلا .

هز رأســه بالنفى وهو يخــرج ورقة وقلمــا ويخط عليها موافقته على نشــر الروايــة، وهو يقول:

- سوف يكون اسم الرواية «الكتاب الأعمى».

- ليكن.

قلتها له وأنــا ألقى عليه التحية وأغــادر مكتبه، وحينما خرجت، إلى الشارع الخالى من المارة، وحينما وصلت إلى سيارتى وأســفل احد المقاعد كنت أتحســس بيدى تلــك اللفافة الضخمة وأخرجها، وبعنايــة فتحتها ليبرز منها الدليل على صحة حكايتــى للرجل، والتى قصصتهــا عليه كاملة منذ دقائــق، فذلك الكتاب الذى يزينه الكــف ذو الثلاثة أصابع هو الدليل على صحة كل حرف أخبرته للرجل، وهو الدليل على صحة قــواى العقلية، ذلك الكتــاب الذى كتبه رجل ضريــر بإيعاز من الجن والشــياطين، الكتــاب الذى نجحت

فـــى الحصول عليه بثمن باهظ، وهو عشـــرون عاما قضيتهم بالأســـفل كعشـــرين دقيقة لحماية قومنا وأقوام أخرى لن يعلمها سواكم، ومنتظرا لمغامرتي القادمه التي سوف أنفذها معتمدا علي كتاب يســـمى «الكتاب الأعمى».

***

ما بعد النهاية

فى تلك البقعة من الصحراء، وفى قلب ذلك الجبل الموجود بالصحراء الليبية، وفى كهف تزينه المشاعل من الجانبين، كان يجلس ذلك الرجل الثلاثيني بملابسه الغريبه وأمامه جلس عدد من الرجال والشباب ينصتون له فى احترام وإجلال، وهو يمسك بين يديه بذلك الكتاب المهترىء، ويوجه حديثه للحضور:

- حسنا يا أبنائى...

تلك كانت رحلتى التى تممت بها مجمل رحلاتى، وواجهت فيها أعتى الشياطين وأعتى الوحوش، وها أنا أنقل لكم خبراتى لتنقلوها إلى أبنائكم وأحفادكم، انقلوها لهم كعهد على السمع والطاعة، وعلموا أولادكم أن مولاكم ذو

فضل وذو علم لم يصل لــــه أى أحد من أقرانه.

اندفع الجميع يهتفون فى صوت واحد:

- ونعم الحديث مولانا وسيدنا.

وابتسم الرجل وهو يشير لهم بالانصراف؛ فهو يريد الخلوة التى يبغيها الآن، إنه ينقل علومه سرا بين قبائل وأفراد بعينهم فى تلك المنطقة التى عاش فيها معتزلا الجميع بانتظار حدث محدد، يحقق المال ويحظى بالاحترام، هو سر هذه القبيلة منذ مئات السنين، السر الذى يتكتم على وجوده الجميع، وتحدث عنه الجميع على أنه أســـطورة وصـــدق البعض كونه مجرد خرافة تناولها كاتب فى أحد رواياته، ولكن الحقيقة التى لا يعلمها إلا القليل، إنـــه حقيقة، ومازال يعيش بيننا فى ذلك الركن المنسى من العالم، بانتظار شىء ما، ينتظره منذ مئات الســـنين، شىء سوف يقلب موازين كل شيء نعرفه أو عرفناه يوما بمجرد تحقيقه، من يعرفه هو شخص واحد فقط، اسمه الذى نعرفه به «عبد الله الحظرد».

(تمت بحمد الله)

ن للنشر والتوزيع

Noon_publishing@yahoo.com
ت -02 35860372- 011-27772007

الكتاب الأعمى

علياء

عمر

أين أنتم؟!

ابنى عمر ذو الأربعة أعوام دائما ما يلاقينى عند دخولي المنزل،

أين هو !!

هناك صوت قادم من غرفة النوم، ركضت إلى هناك، وتيبست كل قطرة دم فى عروقى، زوجتي علياء تنظر لى بذهول والدماء تغطى رقبتها تماما، أمامها جسد عمر ابنى، وقد التهمت يده وجزءا من رقبته، سقطت قطعة اللحم التى أحضرتها لهم من يدى، وأنا أنظر للمنظر المهول أمامى.

- ما الذى فعلتيه فى ابننا؟!

كنت اصرخ بها، معتصراً رقبتها:

- ما الذى فعلتيه يا حقيرة؟!

كانت تبكى وتضحك فى مزيج مجنون ،وأنا أهوى على وجهها بيدى صارخاً :

- لقد التهمتِ ابنك، التهمتيه ...

كنت أنهال على وجهها بيدى فى جنون، أجابت وسط دموعها:

- لقد التهمته لأنه كان قد مات من شدة الجوع، وإن التهمه لهو خير لى من أن يلتهمه غيرى، ألم ترَ القطط تلتهم أولادها خوفا عليهم، لقد التهمت ابنى وأرحته من عذاب أن يلتهمه غيرى.

وضحكت فى هستريا وهى تقرع على بطنها:

- إنه بداخلى الآن مثلما كان من قبل.



د.محمود صلاح

حاصل علي دكتوراه في الميتافيزيقيا ...

صدر له

الملعون

ليله في المشرحه

ISBN 9789777781336

9 789777 781336

ن للنشر والتوزيع

رواية

الكتاب الأعمى

غلاف: إسلام مجاهد

د. محمود صلاح

ن للنشر والتوزيع